تعظيم قدر القرآن العظيم

عند تلاوته

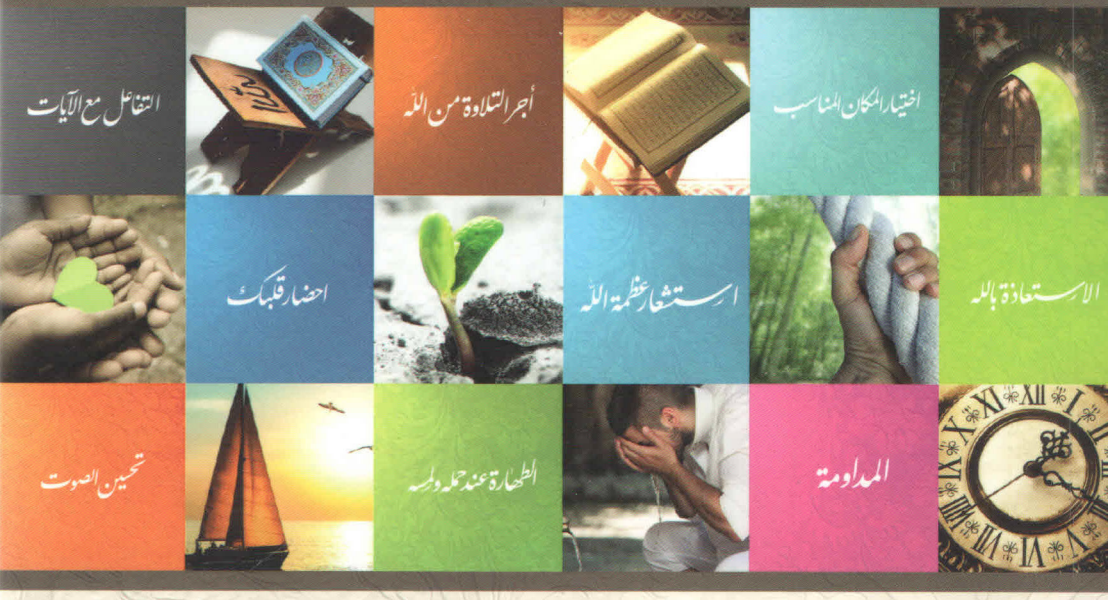

تقديم

د. عبد المحسن زين المطيري

تأليف

مؤيد عبد الفتاح حمدان

تعظيم قدر القرآن العظيم عند تلاوته

تقديم

د. عبد المحسن زين المطيري

تأليف

مؤيد عبد الفتاح حمدان

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
2016 م - 1437هـ

الصف والتصميم والإخراج
مؤسسة الجديد النّافع للنشر والتوزيع
+965 22660208 +965 67644426
jadeed.nafi3@gmail.com

تقريظ
د. عبد المحسن زبن المطيري

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد قرأت كتاب «تعظيم قدر القرآن العظيم عند تلاوته» للشيخ الفاضل: مؤيد عبدالفتاح حمدان، فألفيته كتابا ماتعا، قد ملأه الشيخ بالفوائد والنفائس، وشوق قارئه لتلاوة كتاب اللَّه تعالى، وملأ القلوب بتعظيمه، وبين الوسائل التي تعين على ذلك، وخص أهل القرآن برسائل مهمة.

فجزاه اللَّه خيرا وبارك في علمه وعلمه، أحسبه كذلك واللَّه حسيبه.

كتبه

د. عبدالمحسن بن زبن المطيري

استاذ التفسير بكلية الشريعة

جامعة الكويت

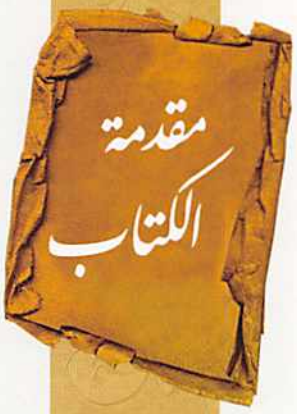

المقدمة

الحمدُ للَّه ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلام على سيدِ المرسلين، سيدِنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين، أمَّا بعد:

فإنَّ الرُّجوعَ إلى كتابِ اللَّهِ وتعْظِيمَهُ حقَّ التَّعْظيم على الوجهِ الصَّحيحِ يُحْدثُ تغييرًا في كِيَانِ الإنسانِ وانقلابًا في فِكْرِه ومنهَجِ حياتِه، فيجعَلُهُ مِفْتَاحًا لِلخيرِ مِغْلاقًا لِلشَّرِّ، معْصومًا بإذنِ اللَّهِ من الفتنِ، ما ظَهَرَ مِنْهَا وما بَطَنَ.

لقد أحْدَثَ القرآنُ العظيمُ نقلةً كبيرةً في صحابةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بعد إسلامِهِمْ وسمَاعِهِم لكلامِ اللَّهِ، فانقَلَبُوا من أعداءٍ للإسلام إلى جندٍ من جنودِهِ يُقدِّمُونَ الغَاليَ والرَّخيصَ لأَجلِه.

إنَّ المُتتبعَ لِطريقةِ النَّبيِّ ﷺ يُدْرِكُ سِرَّ هذه التَّرْبيةِ النَّبويَّةِ الفَريدةِ الَّتي صَنعتْ ذلك الجيلَ الفريدَ، إنَّ السِّرَّ يكْمُنُ في تعظيم قدر القرآنِ العظيم. «لقد كانَ القرآنُ وحْدَهُ هو النَّبعَ الَّذي يُسْتَقَى مِنْهُ، ويُتَكيَّفُ به، ويَتَخَرَّجُ عليه ذلك الجيلُ الأوَّلُ، لَمْ يَكُنْ ذلك كذلك لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلبشَرِيَّةِ يَومَها

حضارةٌ، ولا ثقافةٌ، ولا علمٌ، ولا مؤلَّفاتٌ، ولا دراساتٌ .. كلَّا! فقد كانت هُناك حضاراتٌ كثيرةٌ جدًا... لكنَّ النَّبيَّ ﷺ أرادَ أَنْ يَقْصُرَ ذلك الجِيلَ على كتابِ اللَّهِ وحدَهُ .. في فترةِ تَكَوُّنِهِ .. وقد كان ذلك عن تصميمٍ مرسومٍ، ونهجٍ مقصودٍ، يدلُّ على هذا القصدِ غضَبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقد رأَى في يَدِ عُمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه صحيفةً من التَّوراةِ، غَضِبَ لأنَّه رأى عمرَ بنَ الخطَّابِ رضي الله عنه يسْتَقِي من نبْعٍ آخرَ .

ثمَّ ما الَّذي حَدَثَ بعد ذلك الجيل! اختَلَطَتْ الينَابِيعُ، فقد صبَّت في النَّبعِ الَّذي استَقَتْ منه الأجيالُ التَّاليةُ فلسفةَ الإغريقِ ومنْطِقَهُم، وأساطِيرَ الفُرْسِ وتصوُّراتِهم، وإسرَائِيليَّاتِ اليهودِ ولاهُوتَ النَّصارى، وغيرَ ذلك من رواسبِ الحضاراتِ والثَّقافاتِ، واختَلَطَ هذا كلُّه مع النَّبعِ الأوَّلِ، وتخرَّجَ على ذلك النَّبعِ المَشُوبِ سائِرُ الأجيالِ بعد ذلك الجيلِ، فلم يتكرَّرْ ذلك الجيلُ أبدًا»[1].

هكذا ربَّى النَّبيُّ ﷺ الصَّحابةَ على القرآنِ وعلى حُبِّهِ، وتعْظِيمِه حقَّ التَّعظيمِ، ربَّاهُم على ذلك عن

قَصْدٍ وتَعمُّدٍ، فكانوا بِحقٍّ جِيلاً قُرْآنِيًا فريدًا، يعرِفُونَ حقَّ القرآنِ العظيمِ.

مِنْ هُنا كان الحديثُ عن تعظيمِ قدرِ القرآنِ العظيمِ من الأهمِّيةِ بمكانٍ، فكانَ هذا الكتابُ الَّذي بين يديكَ «تعظيم قدرِ القرآنِ العظيمِ عندَ تلاوتِهُ».

منهجي في الكتاب:

جعلتُ الكتابَ على هيئةِ قواعدَ حتَّى يسهُلَ الرُّجوعُ إليها، وجعلتُ تحت كلِّ قاعدةٍ خمسةَ أمورٍ وهي:

الأوَّلُ: المعنى الإجماليُّ للقاعدةِ.

حيثُ أذكرُ معنى القاعدةِ إجمالاً، أُخاطبُ القارِئ بأسلوبِ الخطابِ المبَاشرِ، كي تكونَ العباراتُ أقربَ إلى قلبِه وعقلِه.

الثَّاني: التَّأصيلُ الشَّرعيُّ للقاعدةِ.

حاولتُ فيه أَنْ أجمعَ بعضَ الأدلةِ من القرآنِ وصحيحِ السُّنَّةِ، مع بعضِ التَّعليقاتِ اليسيرةِ الَّتي تُؤكِّدُ معنى القاعدةِ.

الثَّالث: مُعايشةُ السَّلفِ للقاعدةِ.

ذكرتُ ما وقفْتُ عليه مِنْ آثارٍ وأقوالٍ تُؤَيِّدُ معنى القاعدةِ بوجهٍ من الوجوهِ.

الرَّابع: رسائلُ التَّعظيمِ.

وهذه الرَّسائلُ تكادُ تكونُ هي صُلْبَ الكتابِ، حيثُ ذكرتُ رسائلَ تدلُّ على معاني التَّعظيمِ في القاعدةِ، محاولاً أَنْ أجمعَ في ذلك أقوالَ العلماءِ رحمهمُ اللهُ تعالى لبيانِ هذه الرَّسائلِ.

الخامس: إلى أهلِ القرآنِ خاصَّة.

وهي رسالةٌ خاصَّةٌ بأهلِ القرآنِ من مُعلِّمينَ ومشرِفينَ وحفظةٍ لكتابِ اللَّهِ تعالى، تُخاطِبُهم خاصَّةً فهم الأصلُ، وهم عمادُ الأمَّةِ.

علمًا أَنْ هذا الكتابَ هو باكُورَةَ سلسلة: (تعظيم قدرِ القرآنِ العظيمِ)، وسَيتْبَعُ ذلك بإذنِ اللَّهِ كُتُبٌ أخرَى وهي:

قواعدُ تعيظمِ قدرِ القرآنِ العظيمِ عندَ سماعِهِ.

قواعدُ تعظيمِ قدرِ القرآنِ العظيمِ عندَ تعلُّمِهِ.

قواعدُ تعظيمِ قدرِ القرآنِ العظيمِ عندَ تعْليمِهِ.

قواعدُ تعظيمِ قدرِ القرآنِ العظيمِ عندَ حِفْظِهِ.

قواعدُ تعظيمِ قدرِ القرآنِ العظيمِ عندَ العملِ بهِ.

وختاما أسأل اللَّه عز وجل أن يجزي كل من ساهم في إخرج ومراجعة هذا الكتاب خير الجزاء، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم جميعا، وأن يغفر لي ولكل من له حق عليَّ، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

مؤيد عبد الفتاح حمدان

الكويت

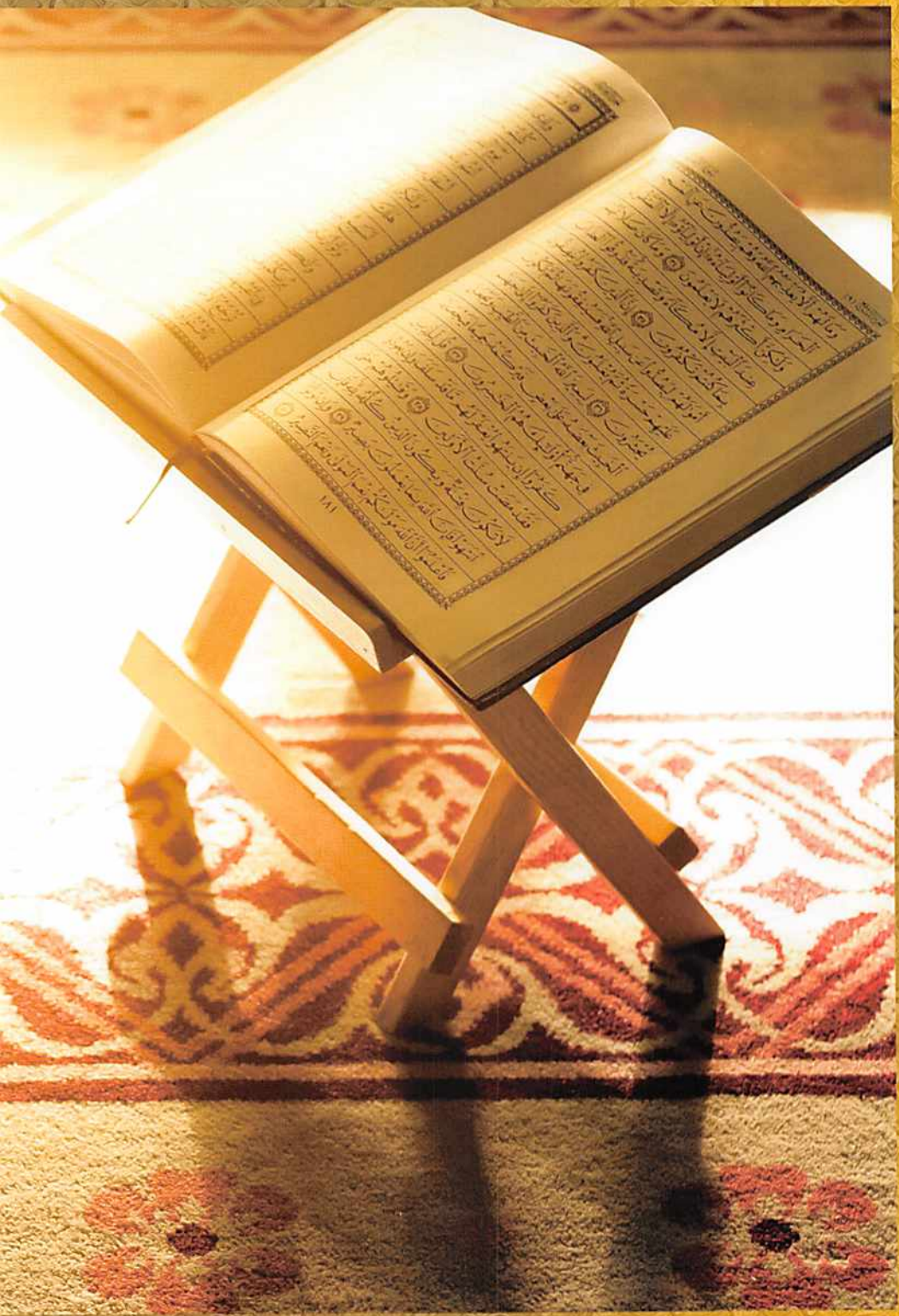

القاعدة الأولى

طلب أجر التلاوة من الله وحده

طلب أجر التلاوة من الله وحده

المعنى الإجمالي

من تعظيم قدر القرآن العظيم عند تلاوته أن تخلص نيتك لله تبارك وتعالى، فلا تبتغي الأجر والثواب إلا من الله سبحانه، وأن تتجرد من كل غرض دنيوي عند تلاوة القرآن العظيم من طلب شهرة أو مدح أو ثناء أو غير ذلك من أعراض الدنيا، فما عند الله خير وأبقى.

١- قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

٢- وعَنْ أبي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تعالى لا يقْبلُ من العمَلِ إِلَّا ما كانَ خالِصًا، وابتُغِيَ بِهِ وجْهُهُ»[٢]، وتلاوةُ القرآنِ الكريم مِنْ أشرفِ أعمالِكَ الَّتي ينبغي أَنْ تقصدَ بها وجهَ اللَّهِ تباركَ وتعالى.

٣- وعَنْ جابرِ بنِ عبد اللَّه رضي الله عنهما أَنَّهُ قال: خرجَ علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحنُ نقرأُ القرآنَ، وفينا الأعرابيُّ والأعجميُّ، فقال: «اقرَءوا فكلٌّ حسنٌ[١]، وسيَجِيءُ أقوامٌ يقيمُونَهُ كما يُقامُ القِدْحُ يَتَعجَّلونَهُ ولا يتَأجَّلُونَه»[٣]. وفي رواية أخرى: «الحمدُ للَّهِ، كتابُ اللَّهِ واحدٌ، وفيكُمُ الأحمرُ،

---

(١) المعنى: «كل قراءة من قراءتكم حسنة مرجوة أو محصلة للثواب إذا آثرتم الآجلة على العاجلة، ولا عليكم أن لا تقيموا ألسنتكم إقامة القدح وهو: السهم قبل أن يعمل له ريش ولا نصل». مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٩٠).

وفيكُمُ الأسودُ، اقرَؤوهُ قبلَ أَنْ يَقْرَأَهُ أَقْوامٌ يُقَوِّمُونَهُ كما يُقَوَّمَ أَلْسِنَتُهُم[٤]، يَتَعَجَّلُ أَحَدُهُم أَجْرَهُ ولا يتَأَجَّلُهُ[١]»[٥]. والمعنى: أَنْ قِراءةَ الأعرابيِّ والأعجميِّ وإِنْ كانتْ بالنَّظرِ إلى خروجِ الألفاظِ عَنْ مخارِجِهَا ورِعايةِ صفاتِها وقواعدِ لسان العربِ غيرُ مستقيمةٍ، ولكنْ باعتبارِ تَرَتُّبِ الثَّوابِ عليها والقبولِ عندَ اللَّهِ مُعتبَرَةٌ[٦]، وفي المقابلِ تلاوةُ مَنْ يتعجَّلُ الأجرَ في الدُّنيا مذمومةٌ وإِنْ كانتْ متقَنةً، لأَنَّهُ آثَرَ العَاجِلَةَ على الآجلةِ.

٤- وعَنْ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «يظهرُ الإسلامُ حتَّى يخْتلِفَ التُّجَّارُ في البحرِ، وحتَّى تخوضَ الخيلُ في سبيلِ اللَّهِ، ثُمَّ يظهرُ قومٌ يقرَؤونَ القرآنَ يقولُونَ: مَنْ أَقْرَأُ مِنَّا؟ مَنْ أَفْقَهُ مِنَّا؟ مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا؟». ثُمَ قالَ لأصحَابِه: «هل في أُولئك خيرٌ؟» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم،

---

(١) أي: «يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة لأجل الرياء والسمعة والمباهاة والشهرة، والحاصل إنهم يبالغون في التحسين والتطريب ويجهدون غاية جهدهم في إصلاح الألفاظ ومراعاة صفاتها ومراعاة قواعد الفن رياء وسمعة ومباهاة وشهرة، فليس غرضهم بهذا إلا طلب الدنيا». مرعاة المفاتيح (٧/ ٢٩٠).

قال: «أولئك منكم مِنْ هذه الأمَّة، فأولئك هم وَقُودُ النَّارِ»[٧]. فهذا وعيدٌ شديدٌ زاجرٌ لكل مَنْ لَمْ يُعظِّم قدرَ القرآنِ العظيم فطلبَ بتلاوةِ القرآنِ الدُّنيا وزينتَها، وزَهدَ بما عند اللَّهِ تعالى.

٥- وعَنْ أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: حدَّثني رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى إذا كانَ يومُ القيامةِ ينزلُ إلى العبادِ ليقضي بينهم، وكلُّ أمَّةٍ جاثيةٌ، فأوَّلُ مَنْ يَدْعُو به رجلٌ جمعَ القرآنَ، ورجلٌ قُتِلَ في سبيلِ اللَّهِ، ورجلٌ كثيرُ المالِ، فيقولُ اللَّهُ للقارئ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلتُ على رسُولي؟ قالَ: بلى يا ربِّ، قال: فماذا عَمِلْتَ فيما عُلِّمْتَ؟ قال: كُنتُ أقومُ به آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ، فيقولُ اللَّهُ له: كَذَبْتَ، وتقولُ له الملائِكةُ: كَذَبْتَ، ويقولُ اللَّهُ: بل أَرَدْتَ أَنْ يُقالَ إنَّ فُلانًا قارئ فقد قِيلَ ذاكَ... ثُمَّ ضَرَبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على رُكْبَتِي فقالَ: يا أبا هُريرةَ! أُولئكَ الثَّلاثةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بهم النَّارُ يومَ القيامةِ»[٨]. وكفى بهذا الحديث واعظًا ومُذَكِّرًا وداعيًا إلى طلبِ ما عندَ اللَّهِ وحدَهُ.

١- عَنْ عُمرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لقد أتى علينا حينٌ وما نرى أَنَّ أحدًا يتعلَّمُ القرآنَ يُريدُ به إلا اللَّهَ، فلما كان هَاهُنا بآخرة، خَشِيتُ أَنَّ رجالاً يتعلَّمُونَهُ يُريدونَ به النَّاسَ وما عندَهُم، فأَريدُوا اللَّهَ بقرآنِكُمْ وأعمالِكُمْ»(٩).

٢- وقال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لو أَنَّ حَمَلَةَ القرآنِ أَخَذوهُ بِحقِّهِ وما ينبغي له لأَحَبَّهُم اللَّه، ولكن طَلَبوا به الدُّنيا فأَبْغَضَهُم اللَّه وهانوا على النَّاسِ»(١٠).

٣- وقال ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أخذَ علي بن أبي طالبٍ بيدي ثمَّ قال: إنَّك إنْ بقيتَ سيقرَأُ القرآنَ ثلاثةُ أصنافٍ: فصِنفٌ للَّهِ، وصِنفٌ للجدالِ، وصِنفٌ للدُّنيا، ومَنْ طلبَ به أَدْرَكَ»(١١). أي فمن طلبَ اللَّهَ وثوابَه أَدْرَكَ ونالَ مُرَادَهُ بإذنِ اللَّهِ.

٤- وعَنْ أبي العاليةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قالَ: «كنتُ جالِسًا معَ أصحابِ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقالَ رجلٌ منهم: قرأتُ اللَّيلةَ كذا، فقالوا: هذا حظُّكَ منهُ»(١٢). أي مَعرِفَةُ النَّاسِ بقراءَتِكَ هي نصيبُكَ مِنْ عملِكَ، وليس لك في الآخرةِ منه شيءٌ.

٥- وقال زاذان: «مَنْ قرأَ القرآنَ يتأكَّلُ به النَّاسَ جاءَ يومَ القيامةِ ووجهُهُ عَظمٌ ليسَ عليه لَحمٌ»[١٣].

٦- كتبَ حُذيفةُ المرعَشِيُّ إلى يوسفَ بن أسباط: «اكشِفْ عَنْ رأسِكَ قِناعَ الغافلينَ، وانتبِه مِنْ رَقْدَةِ الموتى، واعلَم أنَّه مَنْ قرأَ القرآنَ ثُمَّ آثَرَ الدُّنيا لَمْ آمَنْ أَنْ يكونَ بآياتِ اللَّهِ من المستهزِئينِ»[١٤].

الرِّسالةُ الأُولى: عِظَمُ أجرِ القارئ المخلِصِ

اعلم يا رَعَاكَ اللَّه يا مَنْ تقرَأُ كلامَ اللَّهِ أَنَّ مِنْ تعظيمِ قدرِ القرآنِ العظيمِ أَنْ لا تقرأُ القرآنَ الكريمَ إلا طلبًا للأجرِ والثَّوابِ من اللَّهِ تعالى وحدَهُ، وقد بيَّنَ النَّبيُّ ﷺ عِظَمَ أجرِ تِلاوة القرآنِ الكريمِ لِمن ابتغى بذلكَ وجهَ اللَّهِ تعالى، فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مَنْ قَرأَ حرفًا مِنْ كتابِ اللَّهِ فلهُ به حسنةٌ، والحسنةُ بعشْرِ أمثَالِها، لا أقولُ «الم» حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف»[١٥]، ولذلك مهما حِزتَ مِنْ أجرِ الدُّنيا فلن يساويَ ذلك حسنةً واحدةً من اللَّهِ تعالى يكْتبها لعبدٍ شَرُفَ بتلاوةِ كلامِ اللَّهِ.

فكم يَظْلِمُ العبدُ نفسَهُ عندما يطلبُ بتلاوتِه عَرَضًا زائلًا من الدُّنيا قليلًا وإِنْ بَلَغَ ما بَلَغَ، وقد صحَّ عَنْ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «ملعونٌ مَنْ سألَ بوجهِ اللَّهِ»[١٦] أي ملعونٌ مَنْ سألَ النَّاسَ بوجهِ اللَّهِ شيئًا من الدُّنيا، لأنَّ شأنَ اللَّهِ أعظمُ مِنْ ذلك، ووجهُهُ سبحانَهُ أكرَمُ مِنْ كلِّ الدُّنيا، فكيف بمن يسألُ النَّاسَ المالَ والشُّهرةَ بكلامِ اللَّهِ تعالى![١٧]

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ آدابِ قارئ القرآنِ: «ينبغي ألَّا يَقصدَ به توصُّلاً إلى غرضٍ مِنْ أغراضِ الدُّنيا مِنْ مالٍ، أو رِياسةٍ، أو وجَاهَةٍ، أو ارتِفاعٍ على أقرَانِهِ، أو ثناءٍ عندَ النَّاسِ، أو صرفِ وجوهِ النَّاسِ إليه، أو نحو ذلك»[١٨].

الرِّسالة الثَّانية: تعلَّم الإخلاصَ!

ينبغي أَنْ تَعْلَمَ أنَّ الإخلاصَ من الأمورِ الَّتي تحتاجُ إلى تَعَلُّم ومُدارَسَةٍ وتربيةٍ، قالَ يحيى بن أبي كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تعلَّموا النِّيَّةَ فإنَّها أبلَغُ من العملِ»[١٩]، وقالَ عبد اللَّهِ بن أبي جمرةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ودِدْتُ أنَّه لو كانَ من الفقهاءِ مَنْ ليسَ له شغلٌ إلا أَنْ يُعَلِّمَ النَّاسَ مقاصِدَهُم في أعمالِهم، ويَقْعُدَ إلى التَّدريسِ في أعمالِ النِّيَّاتِ ليسَ إلَّا...، فإنَّه ما أُتِيَ على كثيرٍ من النَّاسِ إلا مِنْ تضييعِ النِّيَّاتِ»[٢٠]. فيا قارئ القرآنِ العظيمِ تعلَّمْ الإخلاصَ كما تتعلَّم القرآنَ العظيمَ.

إلى أهل القرآن وخاصته

يا أهلَ القرآنِ... علِّمُوا طُلابَكُم الإخلاصَ وطَلَبَ ما عندَ اللَّهِ تعالى عند تِلاوةِ القرآنِ وتَعلُّمه فإنَّ ذلك سِرُّ التَّغيُّرِ والتَّغييرِ.

يا أهلَ القرآنِ... أنتم أهلُ الزَّمانِ، وأنتم أصحابُ القيادةِ والرِّيادةِ، فاللَّهَ اللَّهَ بالإخلاصِ.

يا أهلَ القرآنِ... اعلموا أَنَّ أمرَ الإخلاصِ جِدُّ خطيرٌ، فإمَّا أنْ تربحوا كلَّ شيءٍ، وإمَّا أنْ تخسروا كلَّ شيءٍ! ففضائلُ القرآنِ ومناقِبَهُ هي لكم - بإذنِ اللَّهِ -إنْ أردتم اللَّهَ والدَّارَ الآخرةَ، وأمَّا مَنْ أرادَ بتلاوتِهِ الدُّنيا وزينتَها والتَّفاخُرَ والتَّكاثُرَ فإنَّه يكونَ عِيَاذًا باللَّهِ مِنْ أوَّلِ مَنْ تُسعَّرُ بهم النَّارُ يومَ القيامةِ كما صحَّ في ذلك الحديثِ.

يا أهلَ القرآنِ... لو صَلَحْتُم صَلَحَ النَّاسُ جميعًا، قال ميمونُ بن مِهْرَان: «لو صَلَحَ أهلُ القرآنِ صَلَحَ النَّاسُ»[٢١].

يا معشرَ [القرَّاءِ] يا مِلْحَ البلد ما يُصْلِحُ المِلْحَ إذا المِلحُ فسد؟

* * *

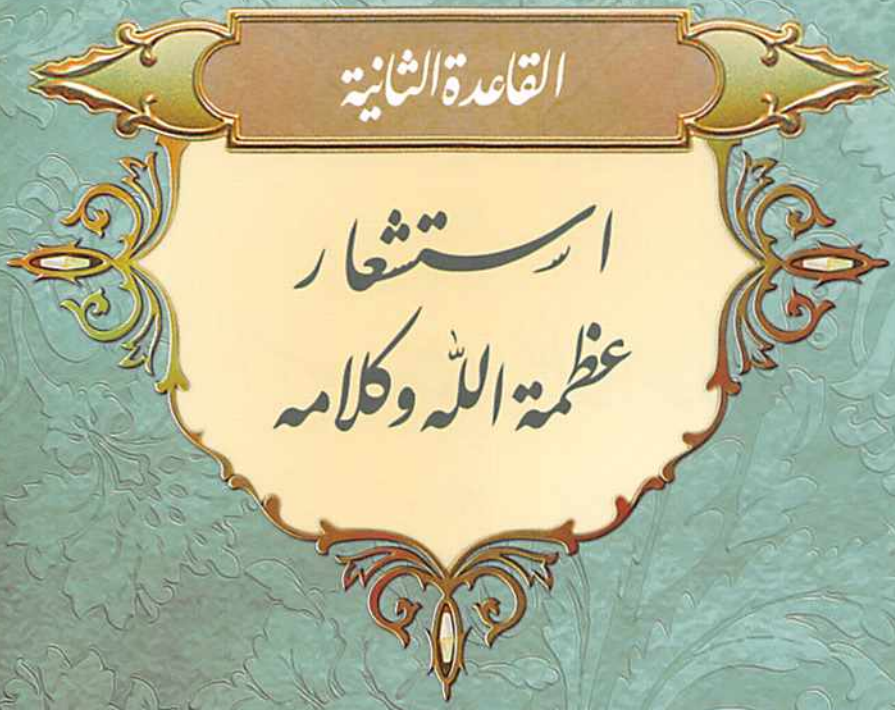
القاعدة الثانية
استشعار
عظمة الله وكلامه

استشعار عظمة الله وكلامه

المعنى الإجمالي

إن من تعظيم قدر القرآن عند تلاوته أن تستشعر أنك تتلو كلام الله سبحانه الذي تكلم به عز وجل على الحقيقة، ولو استشعر الواحد منا هذا المعنى بحق لذاب عندها القلب - والله - حبا وتعظيما وإجلالا لله سبحانه وتعالى.

١- قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، فهذا الَّذي نتلوه إنَّما هو كلامُ اللَّهِ سبحانه وتعالى، وكفى بذلك شرفًا وعِزًّا.

٢- وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فإذا كان الجبلُ في غِلْظَتِه وقساوتِه وقوَّتِه لو فَهِمَ هذا القرآنَ لخشعَ وتصدَّعَ خوفًا من اللَّهِ وتعظيمًا وإجلالاً لكلام اللَّهِ سبحانه، فكيف يليقُ بنا يا أمَّةَ القرآنِ أنْ لا تلينَ قلوبُنا وتخشعَ وتتصدَّعَ تعظيمًا وإجلالاً للَّهِ وكلامِه؟!

٣- وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، -يا اللَّه- ما أعظمَ حالَ المُعظِّمينَ لكلامِ اللَّهِ، تُصيبُهم القشْعَريرةُ مِنْ خشيتِهم لربِّهم، ومِنْ استحضارِهم لعظمةِ اللَّهِ وكلامِه، ثمَّ تحصُلُ لهم السَّكينةُ والطُّمأنينةُ.

٤- وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، فالملائكةُ الكرامُ البررةُ يُصْعَقُونَ لمجرَّدِ سماعِ صوتِ الحقِّ تبارك وتعالى تعظيمًا لشأنِ اللَّهِ سبحانه وكلامَه.

٥- وعَنْ عبد اللَّه بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا تكلَّمَ اللَّهُ بالوحي سَمِعَ أهلُ السَّماءِ للسَّماءِ صلْصَلَةً كجرِّ السِّلسلةِ على الصَّفا، فيُصْعَقُونَ، فلا يزالون كذلك حتَّى يأتِيَهم جبريلُ، حتَّى إذا جاءَهم جبريلُ فُزِّعَ عَنْ قلوبهم، قال: فيقولون يا جبريلُ ماذا قال ربُّكَ؟ فيقول: الحقَّ، فيقولون: الحقُّ[٢٢] الحقُّ»[٢٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا مقامٌ رفيعٌ في العظمةِ، وهو أنَّه تعالى إذا تكلَّم بالوحي وسَمِعَ أهلُ السَّماواتِ كلامَه أُرْعِدُوا من الهيبَةِ حتَّى يَلْحَقَهُم مثل الغشي»[٢٤].

١- قال علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه : «إذا أردتُ أنْ يُكلِّمَني اللَّهُ قرأتُ القرآنَ، وإذا أردتُ أنْ أُكلِّمَ اللَّهَ قُمتُ إلى الصَّلاةِ».

٢- وقال عثمان بن عفانٍ رضي الله عنه : «لو طَهُرَتْ قُلُوبُكُم ما شَبِعَتْ مِنْ كلام اللَّهِ، وَمَا أُحِبُّ أن يَأتيَ عَلَيَّ يومٌ ولا ليلَةٌ إلَّا أَنْظُرُ في كلام اللَّه - يعْنِي فِي المُصحفِ-»[٢٥]، وكيف يشبَعُ المُحبُّ مِنْ كلامِ محبُوبِه وهو غايةُ مطلوبِه.

٣- وكان عكرمة بن أبي جهلٍ رضي الله عنه إذا نَشَرَ المصحف غُشي عليه، ويقول: «كلامُ ربي، كلامُ ربي»[٢٦].

٤- قال مالك بن دينار: «أُقسِمُ لكم لا يُؤمنُ عبدٌ بهذا القرآنِ إلا صُدِعَ قلبُهُ»[٢٧].

٥- قال محمد بن كعب القُرظِي رحمه الله: «مَنْ بَلَغَهُ القرآنُ فكأنَّما كلَّمه اللَّه»[٢٨].

٦- قال أحمد بن جعفر الارتاحي: «دخلتُ أَوْلاس[٢٩]، فإذا شيخٌ كبيرٌ، فدنوتُ منه، فقلتُ له: يا شيخ حدِّثني بشيءٍ ينفعُني اللَّهُ عزَّ وجلَّ

به، قال: عليك بالجِدِّ، فإنَّه كان لي وردٌ أقرأ فيه جزأينِ من القرآنِ كلَّ ليلةٍ، قال: فنمتُ عنه، فنُودِيتُ مِنْ زاويةِ البيتِ: إنْ كنت تزعُمُ حُبِّي فَلِمَ جَفوتَ يا هذا كتابي، أَوَما تدبَّرتَ ما فيه لكَ مِنْ لطيفِ عِتابي وأذكارِي، ومواعِظِي وآلائِي وإعجَازِي؟! ثمَّ أنشد:

إنْ كنت تزعُمُ حُبِّي
فَلِمَ جَفوتَ كتابي
أما تدبَّرتَ ما فيه
مِنْ لطيفَ عَتابي[٣٠]

الرِّسالة الأولى: عِظَمُ كلامِ اللَّه

هل يمكن لإنسانٍ عاقلٍ أنْ يقارنَ نفسَه بخالِقِه؟ الجوابُ بلا شكٍّ: كلَّا، إنَّ الفارِقَ بين كلامِنا وكلامِ ربنا سبحانه كالفارِق بيننا وبين اللَّهِ عزَّ وجلَّ، قال ﷺ: «فضلُ كلامِ اللَّهِ على سائرِ الكلامِ كفضلِ اللَّهِ على خلقِه»[٣١].

إنَّ تعظيمَ القرآنِ الكريمِ مِنْ تعظيمِ اللَّهِ تعالى، فكما أنَّه سبحانه عظيمٌ في ذاتِه، فإنَّه عظيمٌ في صفاتِه، والقرآنُ الكريمُ كلامُ اللَّهِ وهو مِنْ صفاتِه سبحانه، وقد سمَّاه سبحانه برهانًا، ونورًا، وهدىً، وفرقانًا، وشفاءً لِما في الصُّدورِ، فعظَّمَهُ عند المؤمنين؛ ليُعَظِّموا قدْرَهُ ويتدبَّروه، قال الحارث المحاسبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا عَظُمَ في صدرِكَ تعظيمُ المتكلِّم به، لم يكن عندك شيءٌ أرفعَ ولا أشرفَ ولا أنفعَ ولا ألذَّ ولا أحلى مِنْ استماعِ كلامِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وفَهمِ معاني قولِه، تعظيمًا وحبًّا له وإجلالاً إذ كان تعالى قائله، فحبُّ القولِ على قَدْرِ حُبِّ قائلِه»[٣٢]، وعَظَمَةُ

الكلامِ مِنْ عَظَمَةِ قائلِه، «لأنَّ الكلامَ يَعْظُمُ بعَظَمَةِ المتكلِّم، ولهذا يُقالُ لرسولِ الملكِ هذا كلامُ الملكِ أو كلامُك، وهذا كلامُ الملكِ الأعظمِ أو كلامُ الملكِ الَّذي دُونه، إذا كان الرَّسولُ رسولَ ملوكٍ، فيَعْظُمُ الكلامُ بقدر عَظَمَةِ المتكلِّم، فإذا قال: «مِنْ ربِّ العالمين» تبيَّن منه عَظَمةٌ لا عَظَمةَ مثلَها»[٣٣].

الرِّسالة الثَّانية: كيفيَّة تعظيمِ اللَّهِ وكلامِهِ

كلَّما قَوِيَتْ معرِفَتُك بربِّك تبارك وتعالى كلَّما زاد تعظيمُك للَّهِ ولكلامِه، وكلَّما امتلأ قلبُك معرفةً باللَّهِ وتعظيمًا له كلَّما زاد تعظيمُك لكلامِ اللَّهِ.

وقد بيَّن سبحانه وتعالى أنَّ سببَ تكذيبِ المشركين عدمُ معرفتهم باللَّهِ حقَّ المعرفةِ، قال تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «عَمِيَت قلوبُهم عَنْ معرفةِ اللَّهِ وقدرتِه وشدةِ بطشِه».

ولذلك كان معرفةُ أسماءِ اللَّهِ وصفاتِه طريقًا مهمًّا

لتعظيمِ اللَّهِ وكلامِه، والقرآنُ مليءٌ بأسماءِ اللَّهِ وصفاتِه، قال الإمامُ الغزاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولنْ تحضُرَه عَظَمَةُ المتكلِّمِ ما لم يتفكَّرْ في صفاتِه وجلالِه وأفعالِه، فإذا حضرَ ببالِه العرشُ والكُرْسيُّ والسَّمواتُ والأرضُ وما بينهما من الجنِّ والإنسِ والدَّوابِّ والأشجارِ، وعِلَمَ أنَّ الخالقَ لجميعِها والقادرُ عليها والرَّازِقُ لها واحدٌ، وأنَّ الكلَّ في قبضةِ قدرَتِه، مترددُونَ بينَ فضلِه ورحمتِه، وبينَ نقْمَتِه وسَطْوَتِه، إنْ أنْعَمَ فبفضلِه، وإنْ عاقَبَ فبعدلِه، وأنَّه الَّذي يقولُ هؤلاءِ إلى الجنَّةِ ولا أُبالي، وهؤلاءِ إلى النَّارِ ولا أُبالي، وهذا غايةُ العَظَمَةِ والتَّعالي، فبالتَّفكُّرِ في أمثالِ هذا يحضُر تعظيمُ المتكلِّمِ ثمَّ تعظيمُ الكلامِ»[٣٤].

الرِّسالةُ الثَّالثةُ: لماذا تَعظيمُ اللَّهِ قبلَ تَعليمِ القرآنِ؟

غَرْسُ تعظيمِ اللَّهِ سبحانه وتعالى مُقدَّمٌ على كلِّ علومِ القرآنِ، هكذا كانت طريقةُ النَّبيِّ ﷺ في تربيةِ أصحابِه، يدلُّ على ذلك:

ما رواه جُنْدَب بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ يقول: «كنَّا

مع النَّبيِّ ﷺ ونحن فِتيانٌ حَزَاوِرَةٌ[١]، فتعلَّمْنا الإيمانَ قبل أنْ نتعلَّمَ القرآنَ، فازْدَدْنَا به إيمانًا»[٣٥]، وفي لفظٍ: «فيُعَلِّمُنَا الإيمانَ، ثمَّ يُعلِّمُنا القرآنَ، فازْدَدْنَا به إيمانًا»[٣٦].

لقد كان النَّبيُّ ﷺ يُربِّي أصحابَه أوَّلَ الإسلامِ على الإيمانِ باللَّه ومعرفتِه وتعظيمِه حقَّ التَّعظيمِ، فأَوْرَثَ ذلك في نُفُوسِهِم الإيمانَ الصَّحيحَ والتَّعظيمَ اللَّائقَ باللَّه وكلامِه، وهيَّأَ نُفُوسَهُم لِتَلقِّي أوامرَ القرآنِ وتوجيهاتِه، فكانوا بعد ذلك يَتلقَّوْنَ القرآنَ للتَّنفيذِ، «إنَّهم - في الجيلِ الأوَّلِ - لم يكونوا يقرؤون القرآنَ بقصدِ الثَّقافةِ والاطِّلاعِ، ولا بقصدِ التَّذوُّقِ والمتاعِ، لم يكن أحدُهم يتَلقَّى القرآنَ ليستكثِرَ به مِنْ زادِ الثَّقافةِ لمجرَّدِ الثَّقافةِ، ولا ليُضيفَ إلى حصيلتِه من القضايا العلميَّةِ والفقهيَّةِ محصولاً يملأُ به جَعْبَتَهُ، إنَّما كان يتَلقَّى القرآنَ ليتَلقَّى أمرَ اللَّهِ في خاصَّةِ شأنِه وشأنَ الجماعةِ الَّتي يعيشُ فيها، وشأنِ

---

(١) (حزاورة) جمع الحزور وهو الغلام إذا اشتد وقوي وحزم.

الحياةِ الَّتي يَحياها هو وجماعته، يتَلقَّى ذلك الأمرَ ليعملَ به فورَ سماعِه كما يتَلقَّى الجنديُّ في الميْدانِ «الأمرَ اليوميَّ» ليعملَ به فورَ تلقِّيه! ومِنْ ثَمَّ لم يكن أحدُهم ليستكثرَ منه في الجلسةِ الواحدةِ، لأنَّه كان يُحسُّ أنَّه إنَّما يستكثر مِنْ واجباتٍ وتكاليفَ يجعلها على عاتقِه، فكان يكتفي بعشْرِ آياتٍ حتَّى يحفظَها ويعملَ بها كما جاءَ في حديثِ ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ »(٣٧).

لكنَّ الأمرَ وللأسفِ الشَّديدِ اختلفَ بعد ذلك اختلافًا كبيرًا، فقد أصبحَ الواحِدُ منَّا يقرأُ القرآنَ ويحفظُه ويُتقِنُه قبل أنْ يتعلَّمَ الإيمانَ وتعظيمَ اللَّهِ تعالى، فأَوْرَثَ ذلك خللاً في العملِ والانقيادِ، يقول عبد اللَّه بن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لقد عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دهرِنا وإنَّ أحدَنا يُؤتى الإيمانَ قبلَ القرآنِ، وتَنْزِلُ السُّورةُ على محمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حلالَها وحرامَها وما ينبغي أنْ يُوقَفَ عنده فيها كما تَعَلَّمُونَ أنتم القرآنَ، ثُمَّ قال: لقد رأيتُ رجالاً يُؤتَى أحدُهُمُ القرآنَ فيقرأُ ما بين فاتِحَتِهِ إلى خاتِمَتِهِ ما يدري ما آمِرُهُ، و لا زاجِرُهُ، ولا ما

ينبغي أنْ يُوقفَ عنده منه، يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ[1] »[38].

الرِّسالة الرَّابعة: نعمةُ تِلاوة القرآنِ العظيمِ

هل نُدرِك عظيمَ رحمةِ اللَّهِ بنا حيثُ أنزَل علينا كلامَه وكتابَه، ويسَّر لنا تلاوتَه وسماعَه وفهمَه! قال تعالى ممتنًّا علينا هذه النِّعمةَ العظميةَ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

لو شاءَ اللَّهُ لجعلَ بيننا وبين تلاوةِ كلامِه أو حتَّى سماعِه حجابًا وحاجزًا، قال ﷺ -عن وجه ربِّنا تبارك وتعالى-: «حجابُه النُّور، لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهِه ما انتهى إليه بصرُه مِنْ خلقِه»[39].

إنَّ اللَّهَ قادرٌ أنْ يجعلَ كلماتِهِ حارقةً لآذنِنَا لو سمعنَاها، أو حارقةً لألسنتِنا لو تَلَوْنَاهَا، لكنَّه سبحانه لم يفعلْ رحمةً بنا، وتفضُّلاً علينا، بل

---

(١) الدقل: أردأ التمر، تراه ليبسه ورداءته لا يجمع، ويكون منثورًا، وقيل شبهه بتساقط الرطب اليابس من العذق إذا هُزَّ. انظر شرح أبي داوود للعيني (٥/ ٣٠٢).

يسَّر لنا تلاوتَه وسماعَه وحفظَه وفهمَه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، وقد رُوِيَ أنَّ الملائكةَ على عِظَمِ خلْقِهِمْ وقُرْبِهِمْ مِنْ ربِّنا لم يُعطَوا مثل هذه الكرامةَ، قال ابن الصَّلاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قراءةُ القرآنِ كرامةٌ أكْرَمَ اللَّهُ بها البَشَرَ، فقد وردَ أنَّ الملائكةَ لم يُعطَوا ذلك، وأنَّها حريصةٌ على استماعِه من الإنسِ»[1]، قال ابن قُدامةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وينبغي لِتَالِي القرآنِ العظيمِ أنْ ينظرَ كيف لُطْفُ اللَّهِ تعالى بخلقِه في إيصالِ معاني كلامِه إلى أفهامِهم، وأنْ يعلمَ أنَّ ما يقرأهُ ليس مِنْ كلامِ البشرِ»[٤٠]، وقال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «... ولولا أنَّه- سبحانه- جعل في قلوبِ عبادِهِ من القوَّةِ على حمْلِهِ ما جعلَهُ، ليتدبَّروه وليعتبروا به، وليتذكَّروا ما فيه مِنْ طاعتِهِ وعبادتِهِ وأداءِ حقوقِهِ وفرائضِهِ لضَعُفَتْ ولانْدَكَّتْ بِثِقَلِه أو لتَضَعْضَعَتْ له وأنَّى تُطِيقُه، يقول- تعالى جَدُّه- وقوله الحقَّ:

---

(١) قال الدكتور عبد المحسن زبن المطيري حفظه الله معلقا على هذا الأثر: «هذا الكلام بعيد، فجبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن وتلاه على النبي ﷺ وهو من الملائكة كما لا يخفى».

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾، فأين قوَّةُ القلوبِ مِنْ قوَّةِ الجبالِ! ولكنَّ اللَّه تعالى رَزَقَ عبادَه من القوَّةِ على حَمْلِه ما شاءَ أنْ يرزُقَهُم، فضلاً منه ورحمةً»[٤١].

ولذلك ينبغي علينا أنْ نستشعرَ عظِيمَ لُطْفِ اللَّهِ بِنا، حيث مكَّنَنَا مِنْ تلاوةِ القرآنِ وسماعِهِ بل وفَهْمِهِ وتدبُّرِهِ، وشُكْرُ ذلك إنَّما يكونُ بكثْرَةِ تلاوةِ كلامِ اللَّهِ تعالى، ودوامِ الارتباطِ به والعملِ بأحكامِهِ.

يا أهلَ القرآنِ. . . علِّموا طُلَّابَكُمْ تعظيمَ اللَّهِ تعالى قبلَ أنْ تُعَلِّموهم علومَ القرآنِ.

يا أهلَ القرآنِ. . . علِّموا طُلَّابَكُمْ تعظيمَ اللَّهِ مِنْ خلالِ معرفَةِ أسماءِ اللَّهِ وصفاتِهِ الَّتي تملأُ القرآنَ عظمةً وجمالاً ومهابةً

يا أهلَ القرآنِ. . . علِّموا طُلَّابَكُمْ الإيمانَ واغرِسُوه في نُفُوسِهِم مِنْ خلالِ قِصَارِ السِّور، والأجزاءِ الأخيرةِ من القرآنِ كما كانت طريقةُ النَّبيِّ ﷺ في تعليمِ الإيمانِ قبلَ تعليمِ القرآنِ.

يا أهلَ القرآنِ. . . أمَا آنَ لهذه المعاني والمبادِئ أنْ تتحوَّلَ إلى منهجٍ عمليٍ تربويٍّ تستفيدُ منه حلقاتُ التَّحفيظِ في كلِّ مكانٍ؟

يا أهلَ القرآنِ. . . سيروا على طريقةِ خيرِ الأنامِ النَّبيِّ العدنانِ ﷺ، كما كان الأمرُ في الزَّمنِ الأوَّلِ.

* * *

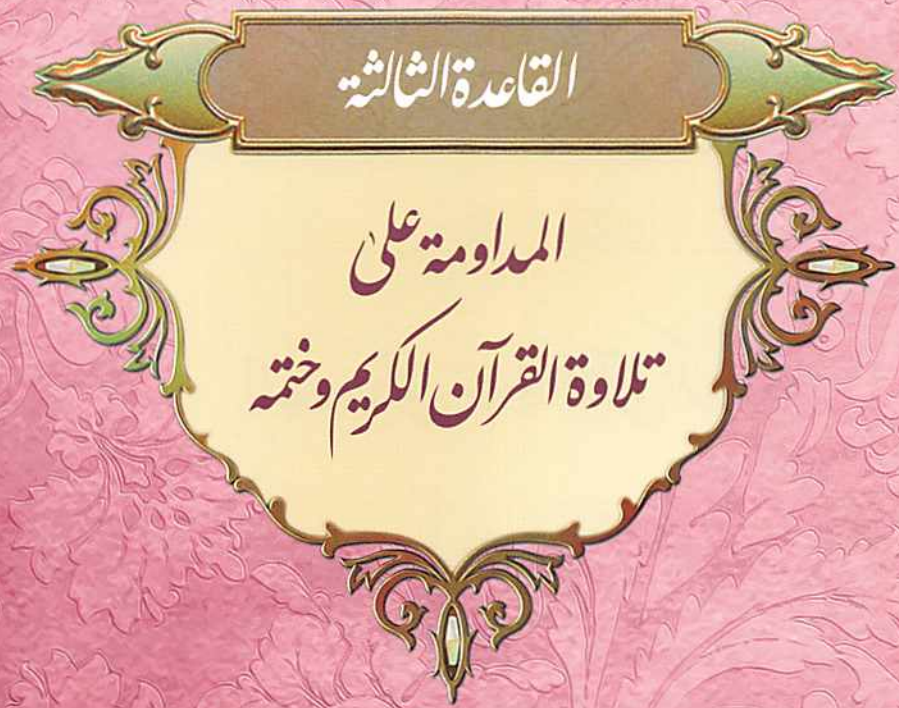
القاعدة الثالثة
المداومة على
تلاوة القرآن الكريم وختمه

المداومة على تلاوة القرآن الكريم وختمه

المعنى الإجمالي

من تعظيم قدر القرآن العظيم أن تداوم على تلاوة القرآن الكريم وختمه، سواء كانت التلاوة من المصحف نظرا أو من الحفظ غيبا، لأن القلب إذا أحب شيئاً تعلق به، واشتاق إليه، وشغف به، ولذا كانت المحافظة على تلاوة القرآن الكريم دليلا على تعظيم الله وكلامه وحبه، بل وسببا في زيادة الإيمان والتعظيم لله وكلامه سبحانه.

١- قال تعالى: «وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا».

٢- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، وقد كان قَتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا قرأَ هذه الآية يقول: «هذه آيةُ القرَّاءِ»، وذلك لما أثبتَتْهُ لهم من الأجرِ العظيمِ والثَّوابِ المضاعَفِ، فهم لا ينعمونَ بالأجرِ وافيًا وحسبْ، وإنَّما يزيدَهُمُ اللَّهُ إكرامًا وفضلاً.

٣- وعن عبد اللَّه بن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قرأَ حرفًا مِنْ كتابِ اللَّهِ فلهُ به حسنةٌ، والحسنةُ بعشْرِ أمثالِها، لا أقولُ الم حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ»(٤٢).

٤- وعن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «عليك بذكرِ اللَّهِ تعالى وتلاوةِ القرآنِ، فإنَّه رُوحُكَ في السَّماءِ، و ذكْرُكَ في الأرضِ»(٤٣).

٥- وعن عبد اللَّه بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ سرَّهُ أنْ يُحبَّ اللَّهَ ورسولَه فليقرأ من المصحفِ»(٤٤).

٦- وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جمعتُ القرآنَ فقرأتُ به في كلِّ ليلةٍ، فبلغ ذلك رسولَ اللَّه ﷺ فقال: «إنِّي أخشى أنْ يطولَ عليك زمانٌ أنْ تَملَّ، اقرَأْهُ في كلِّ شهرٍ» قلت: يا رسولَ اللَّه دعْنِي أستمتعْ مِنْ قوَّتي وشبابي، قال: «اقرَأْهُ في كلِّ عشرين»، قلت: يا رسولَ اللَّه دعْنِي أستمتعْ مِنْ قوَّتي وشبابي، قال: «اقرَأْهُ في عشرٍ»، قلت: يا رسولَ اللَّه دعْنِي أستمتعْ مِنْ قوَّتي وشبابي، قال: «اقرَأْهُ في كلِّ سبعٍ»، قلت: يا رسولَ اللَّه دعْنِي أستمتعْ مِنْ قوَّتي وشبابي فأبَى(٤٥).

٧- عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ قامَ بعشرِ آياتٍ لم يُكْتبْ من الغافلين، ومَنْ قامَ بمائةِ آيةٍ كُتِبَ من القانتين، ومَنْ قامَ بألفِ آيةٍ كُتِبَ من المُقنْطِرين»(٤٦).

١- قال أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه: «مَنْ قَرَأَ في ليلةٍ عشرَ آياتٍ كُتِبَ من الذَّاكرين، ومَنْ قَرَأَ بمائةِ آيةٍ كُتِبَ من القانتين، ومَنْ قَرَأَ بخَمْسمائةِ آيةٍ إلى الألْفِ أصبحَ وله قِنْطارٌ من الأجرِ، قِيلَ: وما القِنْطارُ؟ قال: مِلْءُ مَسْكِ الثَّوْرِ ذهبًا»(٤٧).

٢- وعن عبد اللَّه بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «أكثروا مِنْ تلاوةِ القرآنِ قبلَ أنْ يُرفعَ، قالوا: هذه المصاحفُ تُرفع، فكيف بما في صدورِ الرِّجالِ؟ قال: يُسْرَى عليهِ ليلاً فيُصْبِحونَ منه فقراءَ، وينْسونَ قولَ لا إله إلَّا اللَّهُ، ويَقَعُونَ في قولِ الجاهليَّةِ وأشعارِهِم، وذلك حينَ يَقَعُ عليهم القولُ»(٤٨).

٣- وعن ثابتٍ رضي الله عنه قال: كان عبد الرَّحمن بن أبي ليلى إذا صلى الصُّبحَ قرأَ المصحفَ حتَّى تطلعَ الشَّمسُ، قال: وكان ثابتٌ يفْعَلُهُ(٤٩).

٤- قال يحيى اليماني: لما حضرت الوفاةُ أبا بكرِ بن عياش(٥٠) بَكَت أخته، فقال لها: ما يُبْكِيكِ؟ انظري إلى تلك الزَّاويةِ، فقد خَتَمَ أخوكِ فيها ثمانيةَ عشر ألفَ ختمةً(٥١).

٥- عن أبي المهلَّب قال: كان تميمٌ يخْتِمُ القرآنَ في سبْعٍ[٥٢].

٦- عن إبراهيم قال: كان الأسودُ يخْتِمُ القرآنَ في غيرِ رمضانَ في كلِّ ستِ ليالٍ[٥٣].

٧- قال خالد بن دينار: سمعتُ أبا العالية يقول: كنَّا عبيدًا مملوكينَ، منَّا مَنْ يؤدي الضَّرائبَ، ومنَّا مَنْ يخدِمُ أهله، فكنَّا نخْتِمُ كلَّ ليلةٍ، فشقَّ علينا حتَّى شكا بعضُنا إلى بعضٍ، فَلَقينَا أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فعلَّمُونا أنْ نخْتِمَ كلَّ جمعةٍ، فصلَّيْنا ونِمْنَا، ولم يشقَّ علينا[٥٤].

٨- عن ابن شَوْذب قال: كان عُروةُ يقرأُ ربعَ القرآنِ كلَّ يوم في المصحفِ نظرًا، ويقومُ به اللَّيلَ، فما تركه إلَّا ليلةً قُطعتْ رجله، وكان وقع فيها الآكِلَةُ[٥٥].

٩- قال عمرو بن عبد الرَّحمن: كان جَدي يختمُ في كلِّ جمعةٍ، ورُبَّما فرشنا له فلم يَنَمْ عليه[٥٦].

١٠- قال سليمان بن مسلم: شَهِدتُ أبا جعفر حين احتضرَ، جاء أبو حازم ومَشْيخةٌ، فأكبُّوا عليه يصرخون به، فلم يُجِبْهم، قال شيبة: ألَا

أَريكُم منه عجبًا؟ قالوا: بلى، فكشف عن صدرِه، فإذا دَوَّارةٌ بيضاءُ مثل اللَّبن، فقال أبو حازم وأصحابه: هذا واللَّهِ نورُ القرآنِ، قال سليمان: فقالت لي أمُّ ولدِه بعدما مات: صارَ ذلك البياضُ غرةً بين عينيه. يقول نافع: لما غُسِّل أبو جعفر القارئ، نظروا ما بين نحْرِهِ إلى فؤادِه مثل ورقةِ المصحفِ، فما شكَّ مَنْ حضره أنَّه نورُ القرآنِ[٥٧].

١١- قال عبد اللَّه بن الإمام أحمد: كان أبي يختمُ القرآنَ في النَّهارِ في كلِّ سبعةٍ يقرأُ في كلِّ يومٍ سُبعًا، لا يتركه نظرًا، وقال حنبل: كان أبو عبدِ اللَّه يختمُ مِنْ الجمعةِ إلى الجمعةِ[٥٨].

١٢- وكان ابنُ عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ مواظباً على صلاة الجماعةِ وتلاوةِ القُرْآن، يَخْتِم كُلَّ جُمُعَة[٥٩].

والأخبارُ في هذا البابِ أكثر مِنْ أنْ تُعدَّ أو تُحصرَ.

الرِّسالةُ الأولى: ثمراتُ المداومةِ على قراءةِ القرآنِ وختمه

لو تعْلَمُ يا عبدَ اللَّه ما في مُحافظتِك ومداومتِك على تلاوةِ القرآنِ العظيم من الفضلِ والثَّوابِ الجزيلِ ما غفلتَ عَنْ القرآنِ طرفةَ عينٍ، وكيف تغفل عَنْ ذلك وثمراتُ تلاوةِ القرآنِ الكريم لا تُعدُّ ولا تُحصى، ومِنْ هذه الثَّمراتِ الَّتي تكون لك عند المحافظةِ على تلاوةِ القرآنِ الكريم:

١- أنَّك في مصافِّ العظماءِ ومِنْ أفضلِ النَّاسِ وأعلاهُم درجةً.

٢- أنَّك تكتَسبُ عَنْ كلِّ حرفٍ حسنةً والحسنةُ بعشرِ أمثالِها، واللَّهُ يضاعفُ لمن يشاءُ.

٣- أنَّك مشمولٌ بإذنِ اللَّهِ في ظُلَّةِ الرَّحمةِ، ومُحاطٌ بالملائكةِ، وتتنزَّلُ عليك السَّكينةُ.

٤- أنَّ كثرةَ تلاوةِ القرآنِ الكريمِ تُورِثُ قلبكَ خشوعًا ونفسكَ صفاءً.

٥- أنَّ دعوتَك مُجابةٌ بإذنِ اللَّهِ، فقارئُ القرآنِ يسألُ اللَّهَ به فيُجيبُه فضلاً منهُ وكرمًا.

٦- أنَّك بتلاوتِك للقرآنِ تتسبَّبُ في رحمةِ والديك، وإغداقِهما بالنَّعيمِ، جزاءَ تلاوتِك، فأنت مِنْ عملهما الصَّالح.

٧- أنَّ الملائكةَ الكرامَ البررةَ تدعو لك بالرَّحمةِ والمغفرةِ.

٨- أنَّك مستمسكٌ بالعُرْوَةِ الوثْقَى، ومتمتِّعٌ بالشِّفاءِ النَّاجعِ ومعصومٌ بحولِ اللَّهِ من الزَّيغِ.

٩- أنَّك مِنْ أهلِ اللَّهِ وخاصَّتِه المقرَّبين إليه، ومن العاملين الشَّغوفِين بطاعةِ اللَّهِ والقانتين له.

١٠- أنَّ اللَّهَ يرفعُ قدْرَكَ في الدُّنيا، فاللَّهُ يرفعُ بهذا الكتابَ أقوامًا ويخفضُ آخرين مِمَّن أعرضوا عنه أو هجروه.

١١- أنَّك مكتوبٌ عند اللَّهِ - بإذنِه تعالى - من الذَّاكرين والقانتين.

١٢- أنَّ الشَّياطينَ تبتعدُ عنك، وتخرجُ مِنْ بيتك ببركةِ كلامِ اللَّهِ.

١٣- أنَّ عقلَك يستنيرُ بالقرآنِ العظيمِ، وقلبَك يمتلئُ بالحكمةِ، وتتفجَّرُ منه ينابيعُ العلْمِ.

١٤- أنَّ فيكَ قبسًا من النُّبوَّةِ غيرَ أنَّه لا يُوحى إليك.

١٥- أنَّ اللَّهَ تعالى في عَلياءِه يذْكُرُك فيمن عنده، وكفى بذلك فضلاً وشرفًا.

١٦- أنَّ الصَّالحين يغْبِطونك، ويتمنَّون أنْ يكونوا في درجتِك السَّاميةِ عند اللهِ تعالى، ويودُّون لو عمِلُوا مثلك.

١٧- أنَّ أخلاقَك زكيَّةٌ وصفاتِك عليَّةٌ، ومذاقَكَ حُلو كالأترُجَّة، يقتربُ إليك الصَّالحون العاملون ليشمُّوا منك عطرًا، وينفحوا مِنْ شذاكَ.

١٨- أنَّ اللَّهَ يُضيءُ قلبَك، ويَقيكَ ظُلماتِ يومِ القيامةِ ويُبعد عنك الشَّدائد.

١٩- أنَّك ستُبعثُ يومَ القيامةِ مع السَّفرةِ الكرامِ البررةِ.

٢٠- أنَّه لن يحزنْك الفزعُ الأكبرُ بإذنِ اللَّهِ، لأنَّك في حمايةِ اللَّهِ، ولأنَّ القرآنَ يشفعُ لك.

٢١- أنَّك ترقَى إلى قمَّةِ المعالي في الجنَّةِ، وتصعدُ إلى ذِروَةِ النَّعيمِ[٦٠].

الرِّسالةُ الثَّانية: في كم يُختم القرآن؟

اختلفت عاداتُ السَّلفِ رحمهم اللَّه تعالى في القدْرِ الَّذي يُختمُ فيه القرآنُ، فمنهم مَنْ كان يَختِمُ في كلِّ شهرين مرةً، ومنهم في كلِّ شهرٍ، ومنهم في عشرِ ليالٍ، ومنهم في سبْعٍ، وهو فعل الأكثرين، ومنهم دون ذلك في ثلاثٍ، ومنهم في كلِّ يومٍ وليلةٍ ختمةٍ.

لكنَّ الَّذي يظهرُ أنَّ أفضلَ مدَّةٍ لختم القرآنِ لعامَّةِ النَّاسِ هي أربعونَ أو ثلاثونَ يومًا، يدلُّ على ذلك:

حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص فقد «سأل النَّبيَّ ﷺ في كم يقرأُ القرآنَ؟ فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «في أربعين يومًا»[٦١]، وفي رواية «في ثلاثين» فابتدأَ النَّبيُّ ﷺ بها، فدلَّ على فضلِ هذه المدَّةِ وسُنِّيتِها واختيارِها على ما سواها.

فلما أراد عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنه مدَّةً أقلَّ مِنْ ذلك نَازَلَهُ النَّبيُّ ﷺ إلى «خمسٍ وعشرين» ثُمَّ إلى: «عشرين»، ثُمَّ إلى: «خمس عشرة»، ثُمَّ إلى: «عشر»، ثُمَّ إلى: «سبع»، وفي كلِّ مرَّةٍ يقولُ عبد اللَّه للنَّبيِّ ﷺ: «يا رسولَ اللَّه دعْنِي

أستمتعْ مِنْ قُوَّتِي وشبابي»، فكانت مُتعتهُ رضي الله عنه في خَتْمِ القرآنِ.

ثُمَّ في آخرِ الأمرِ رخَّصَ له النَّبيُّ ﷺ بأنْ يختمَهُ في كلِّ ثلاثٍ، وقال له: «لايفقه مَنْ قرأَ القرآنَ في أقلَّ مِنْ ثلاثٍ»(٦٢).

ولذلك كان أفضل مدَّةٍ لختم القرآنِ هي الأربعين يومًا أو الثَّلاثين، فمَنْ شاء أنْ يستكثرَ تدرَّجَ كما يشاء حتَّى يصلَ إلى الثَّلاثِ، وأما ختمه في أقلِّ مِنْ ثلاثٍ مع المداومةِ على ذلك فهو خلافُ هدي رسولِ اللَّه ﷺ(٦٣).

قال الذَّهبي رحمه الله معلِّقًا على حادثةِ عبد اللَّه بن عمرو بن العاص: «صحَ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ نَازَلَهُ إلى ثلاثِ ليالٍ، ونهاهُ أنْ يقرأَهُ في أقلَّ مِنْ ثلاثٍ، وهذا كان في الَّذي نَزَلَ من القرآنِ، ثُمَّ بعد هذا القولِ نَزَلَ ما بَقِيَ من القرآنِ.

فأقلُّ مراتبِ النَّهي أنْ تُكرَه تلاوةُ القرآنِ كلِّهُ في أقلَّ مِنْ ثلاثٍ، فما فَقِهَ ولا تَدَبَّرَ مَنْ تلا في أقلَّ مِنْ ذلك.

ولو تلا ورتَّل في أسبوعٍ، ولازم ذلك، لكان

عملاً فاضلاً، فالدِّين يُسر، فواللَّهِ إنَّ:

ترتيلَ سُبْعِ القرآنِ في تهجدِ قيامِ اللَّيلِ.

مع المحافظةِ على النَّوافلِ الرَّاتبةِ.

والضُّحى، وتحيَّةِ المسجدِ.

مع الأذكارِ المأثورةِ الثَّابتةِ عند النَّومِ واليقظةِ، ودُبُرَ المكتوبةِ والسَّحَر.

مع النَّظرِ في العلمِ النَّافعِ والاشتغالِ به مُخلصًا للَّهِ.

مع الأمرِ بالمعروفِ، وإرشادِ الجاهلِ وتفهيمِه، وزجرِ الفاسقِ، ونحوِ ذلك.

مع أداءِ الفرائضِ في جماعةٍ بخشوعٍ وطمأنينةٍ وانكسارٍ وإيمانٍ.

مع أداءِ الواجبِ، واجتنابِ الكبائرِ.

وكثرةِ الدُّعاءِ والاستغفار.

والصَّدقةِ وصلةِ الرَّحمِ، والتَّواضعِ، والإخلاصِ في جميعِ ذلك لشغلٌ عظيمٌ جسيمٌ، ولمقامُ أصحابِ اليمينِ، وأولياءِ اللَّهِ المتقين، فإنَّ سائر ذلك مطلوبٌ.

فمتى تشاغلَ العابدُ بختمةٍ في كلِّ يوم، فقد خالفَ الحنيفِيةَ السَّمحةَ، ولم ينهضْ بأكثرِ ما ذكرناه، ولا تدبَّرَ ما يتلوه.

هذا السَّيِّدُ العابدُ الصَّاحبُ كان يقول لما شاخ: ليتني قَبِلْتُ رُخصةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ... وكلُّ مَنْ لم يُلْزِمْ نفسُه في تعبُّدِه وأورادِه بالسُّنَّةِ النَّبويَّةِ، يندمُ ويترهَّب ويسوءُ مِزاجهُ، ويفوتُه خيرٌ كثيرٌ مِنْ متابعةِ سنَّةِ نبيِّهِ الرَّؤوفِ الرَّحيمِ بالمؤمنين، الحريصِ على نفعهم.

وما زال ﷺ معلِّمًا للأمَّةِ أفضل الأعمالِ، وآمرًا بهجرِ التَّبتُّلِ والرَّهبانيةِ الَّتي لم يُبعث بها، فنهى عَنْ سرْدِ الصَّومِ، ونهى عَنْ الوصالِ، وعَنْ قيامِ أكثر اللَّيلِ إلَّا في العشرِ الأخيرِ، ونهى عَنْ العَزَبَةِ للمستطيعِ، ونهى عَنْ تركِ اللَّحمِ، إلى غير ذلك من الأوامرِ والنَّواهي.

فالعابدُ بلا معرفةٍ لكثيرٍ مِنْ ذلك معذورٌ مأجورٌ، والعابدُ العالمُ بالآثارِ المحمَّديةِ، المتجاوزِ لها مَفْضُولٌ مغرورٌ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللَّهِ تعالى أدْومُهَا وإنْ قلَّ، ألهَمَنَا اللَّهُ وإياكم حُسن المتابعةِ، وجنَّبَنَا الهوى والمخالفة»[٦٤].

وقد قلنا سابقًا أنَّ العِبرةَ ليست بكثرةِ التِّلاوةِ، فرُبَّما يكون الوردُ القليلُ أنفعَ وأكثرَ أجرًا من الوردِ الكبيرِ، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّحقيق أنَّ لكلٍّ من الإسرَاعِ والتَّرتيلِ جهةَ فضلٍ، بشرطِ أنْ يكونَ المُسرِعُ لا يُخِلُّ بشيءٍ من الحروفِ والحركاتِ والسُّكونِ الواجباتِ، فلا يمتَنِعَ أنْ يَفْضُلَ أحدُهُما الآخرَ وأنْ يستويا، فإنَّ مَنْ رتَّلَ وتأمَّلَ كمَنْ تصدَّقَ بجوهرةٍ واحدةٍ مُثمَّنَةٍ، ومَنْ أسرعَ كمَنْ تصدَّقَ بعدَّةِ جواهرٍ لكنْ قيمتُها قيمة الواحدةِ، وقد تكون قيمةُ الواحدةِ أكثرَ مِنْ قيمةِ الأُخرَيَاتِ، وقد يكونُ بالعكسِ»[٦٥].

فالحاصلُ أنَّ مدَّةَ ختمِ القرآنِ تعودُ لنشاطِ الشَّخصِ وقدرتِهِ وتدبُّرِهِ لما يقرأ وما يستطيع أنْ يُحافظَ عليه في غالبِ أحوالِهِ، لكنْ يُستحبُ للإنسانِ أنْ لا يتجاوزَ مدَّةَ الأربعين يومًا أو الثَّلاثين، لأنَّ النَّبيَّ ﷺ ابتدأَ بهذه المدَّةَ عندما سأله عبد اللَّه بن عمرو عن ذلك فقال له: «في كم يُقرأُ القرآنَ».

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المختارُ أنَّه يستكثرُ منه - أي من تلاوةِ القرآنِ - ما يُمكنُه الدَّوام عليه،

ولايعتاد إلَّا ما يغلبُ على ظنهِ الدَّوامُ عليه في حالِ نشاطِهِ وغيره، هذا إذا لم تكنْ له وظائفٌ عامَّةٌ أو خاصَّةٌ يتعطَّلُ بإكثارِ القرآنِ عنها، فإنْ كانت له وظيفةٌ عامَّةٌ كولايةٍ وتعليم ونحو ذلك فليُوظِّف لنفسِهِ قراءةً يُمكنُه المحافظةُ عليها مع نشاطِهِ وغيره مِنْ غير إخلالٍ بشيءٍ مِنْ كمالِ تلك الوظيفةِ، وعلى هذا يُحمَلُ ما جاءَ عن السَّلفِ»[٦٦].

الرِّسالة الثَّالثة: تلاوةُ الآياتِ والسُّورِ ذاتِ الفضلِ

الاعتناءُ بالآياتِ والسُّورِ الَّتي فيها فضلٌ عظيمٌ مِنْ تعظيمِ قدرِ القرآنِ، لأنَّ اللَّهَ تعالى فضَّلَها وعظَّمها على غيرِها، وتعظيمُ ما عظَّمَ اللَّهُ مِنْ تعظيمِ اللَّهِ تعالى.

إنَّ القرآنَ كلَّه حروفَه ومعانيَه من اللَّه تعالى، تكلَّم به سبحانه وتعالى على الحقيقةِ، من الفاتِحةِ إلى النَّاسِ، فالمُتكلِّمُ به واحدٌ، وهو بهذا الاعتبارُ لا يتفاضل، لأنَّ التَّفاضلَ إنَّما يكونُ بين شيئين أو أكثر، فيُقالُ: هذا أفضلُ مِنْ هذا، والَّذي تكلَّم بالقرآنِ هو اللَّهُ تعالى وهو واحدٌ في

ذاتِه وصفاتِه جلَّ وعلا، ولكنْ لو نظرنا إلى دلالةِ الكلامِ وما يحملُه من المعاني العظيمةِ فهو بهذا الاعتبارِ يتفاضلُ، فمعلومٌ أنَّ كلامَه سبحانه وتعالى عن نفسِه مثل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أعظمُ مما أخبَر به عن خلْقِه مثل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، وما أمَرَ به من الإيمانِ وما نهى عنه من الشِّركِ أعظمُ مما أمر به في كتابةِ الدَّينِ بين النَّاسِ، وكذلك التَّوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ وصحفُ ابراهيمَ وموسى والقرآنُ كلُّ ذلك كلامُ اللَّه تعالى، والمسلمون مُجمِعون على أفضليةِ القرآنِ على جميعِ الكتبِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكلامُ له نسبتانِ، نسبةٌ إلى المتكلِّم به، ونسبةٌ إلى المتكلَّم فيه... فقول اللَّه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ كلاهما كلامُ اللَّه تعالى، وهما مُشتركان مِنْ هذه الجهةِ، ولكنهما مُتفاضِلان مِنْ جهةِ المتكلَّم فيه أي المُخبَر عنه»[٦٧]، وقال: «الصَّوابُ الَّذي عليه جُمهورُ السَّلفِ والأئمَّةِ أنَّ بعضَ كلامِ اللَّه أفضلُ مِنْ بعضٍ كما دلَّ عليه الشَّرعُ والعقلُ»[٦٨].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعلومٌ أنَّ كلامَه الَّذي يُثني به على نفسِه ويذكُرُ فيه أوصافَهُ وتوحيدَه أفضلُ مِنْ كلامِه الَّذي يَذُمُّ به أعداءَه، ويذكُرُ أوصافَهم، ولهذا كانت سورةُ الإخلاصَ أفضلُ مِنْ سورةِ تبَّت، وكانت تعْدِلُ ثُلُثَ القرآنِ دُونها، وكانت آيةُ الكرسيِّ أعظمَ آيةٍ في القرآنِ»[٦٩].

ولذلك كان مِنْ تعظيم قدرِ القرآنِ الاعتناءُ بالسُّورِ الَّتي لها فضلٌ وَمِزَيَّةٌ على غيرها، فتُكثِر مِنْ قراءَتِها وتلاوتِها خاصَّةً عند ضيقِ الوقتِ أو كثرةِ الأعمالِ، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أيعجِزُ أحدُكم أنْ يقرأَ ثُلُثَ القرآنِ في ليلةٍ؟»، فشقَّ ذلك عليهم، وقالوا أيُّنا يُطيقُ ذلك يا رسولَ اللَّهِ؟ فقال: «اللَّهُ الواحدُ الصَّمدُ ثُلُثُ القرآنِ»[٧٠]، وفي رواية أنَّه قال: «احشدوا فإنِّي سأقرأُ عليكم ثُلُثَ القرآنِ، ثُمَّ قرأَ عليهم سورةَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»[٧١].

الرسالة الرابعة: فكرة الختمة الشهرية

مِنَ الأمورِ المُجَرَّبةِ النَّافعةِ بإذنِ اللَّه تعالى والتي تُعينُك على ختمِ القرآنِ شهريًا: أن تجعلَ لنفسِكَ هدفًا يوميًا، ولا شكَّ أن قراءةَ جزءٍ واحدٍ في كلِّ يومٍ تحقِّقُ لك ما تريد... ربما الفكرةُ إلى هنا

لا جديدَ فيها، لكنَّ الجديدَ هو بإضافةِ أمرٍ يسيرٍ يُعينُ على تحقيقِ ختمتِكَ الشَّهرية بعد توفيقِ اللَّهِ وإعانتِه، وذلك بربطِ الختمةِ بالتاريخ، ففي اليومِ الأولِ مِنَ الشَّهر ستقرأ الجزءَ الأول، وفي اليوم الثاني من الشهر ستقرأ الجزءَ الثَّاني، وهكذا حتى تختمَ في نهاية الشَّهرِ بإذنِ اللَّهِ تعالى.

إنَّ الجديدَ في الفكرةِ أنَّك كلما طالعت التَّاريخَ أدركتَ بِسُهولةِ الجزءَ المرادَ تلاوتِه، وبذلك تتدارك التَّقصير عند حدوثِه بتعويضِ النَّقصِ الحاصلِ بين الجزءِ الذي وصلتَ إليه فعلاً وبين تاريخ اليوم من الشَّهر.

وقد قامَ بعضُ الأخوةِ الفُضَلاءِ بنشر الفكرةِ بل والمتابعة اليومية من خلالِ تطبيقِ (الواتس أب) وعمل مجموعات خاصة بالفكرة.

وكان نص الرسالة الأولى ما يلي:

«غدا يبدأُ شهرٌ ميلاديٌّ جديد.

شهرٌ يرزقك اللَّهُ فيه مالًا جديدًا.

شهرٌ تَسْعَدُ فيه بأولادِك وأهلِك.

شهرٌ تكونُ فيه بِصِحَّةٍ وعافيةٍ وأمانٍ وَنِعَمٍ كثيرة.

والسُّؤال: هل فكَّرت بشكرِ ذلك؟

إذاً... ابدأ خَتْمَةَ الشَّهر.

في كلِّ يومٍ تقرأُ جزءًا واحدًا.

وهكذا تختم في نهايةِ الشَّهر.

وتستطيعُ أنْ تتدارَك النَّقصَ من خلالِ معرفةِ التَّاريخ.

ختمةٌ يباركُ اللَّهُ لك بها في صحَّتِك ومالِك وأهلِك ودنياك وآخرتِك.

ختمةٌ تجمعُ فيها بإذن اللَّهِ في كلِّ يومٍ أكثر من ١٠ آلافِ حسنة.

وفي الختمةِ الواحدَةِ أكثر من ٣ ملايين حسنة.

ختمةٌ سترى أثرَهَا وبركتها في كلِّ أعمالِك، بل وفي بيتِك ونفسِك ومالِك.

فابدأ الآن ولا تُؤَجِّلْ».

وقد لاقت الفكرةُ بحمدِ اللَّه صدى طيِّبا... فلماذا لا تجرب ذلك بنفسك؟

يا أهلَ القرآنِ. . . لا يخفى عليكم أنَّ كثيرًا من المسلمين اليومَ هجروا تلاوةَ القرآنِ الكريمِ هجرًا لمْ تعرفْه الأمَّةُ مِنْ قبل، فرُبَّما مرَّ الهلالُ والهلالُ والهلالُ على بعضِ أبناءِ أمَّةِ القرآنِ مِنْ غير أنْ يفتحوا مصحفًا، أو يقرؤوا آياتٍ مِنْ كتابِ اللَّهِ، اللَّهمَّ إلا ما يكون مِنْ تلاوةٍ أثناءَ الصَّلاةِ!! وهذا الانقطاعُ عن التِّلاوةِ لفتراتٍ طويلةٍ دليلٌ على هجرِ القرآنِ، لكنَّ المصيبةَ العظمى أنَّ الأمرَ رُبَّما لم يتوقفْ عند عامَّةِ النَّاسِ!!

يا أهلَ القرآنِ. . . إنَّ حالَ بعضِ أهلِ القرآنِ اليومَ وللأسفِ الشَّديد رُبَّما لا يختلفُ كثيرًا عن حالِ مَنْ ذكرنا سابقًا مَّمن هجروا القرآنَ! كثيرون منَّا رُبَّما يعتذرون عن تركهم لتلاوةِ القرآنِ بكثرةِ مشاغلِهم ودعوتِهم وأعمالِهم، إلَّا أنْ ذلك لا يُعفيهم مِنْ تقصيرِهم إنْ فرَّطوا في تلاوةِ القرآنِ الكريمِ.

يا أهلَ القرآنِ. . . إنَّ تَرْكَ تلاوةِ القرآنِ الكريمِ دليلٌ على قلةِ اهتمامِنا بتزكيةِ أنفسنا وصلاحِها، ثُمَّ منذ متى كانت تلاوةُ القرآنِ الكريمِ وإصلاحُ

النَّفسِ وعبادةُ اللَّهِ مما لا يُفعَل إلَّا وقت الفراغِ أو انقضاء الأعمالِ!

إنَّ الواقعَ الَّذي نعيشُه اليومَ يَؤكِّدُ لنا عدمَ صدقِ الكثيرِ منَّا في دعوى قِلَّةِ الوقتِ وكثرةِ المشاغِل، فكم نقضي يوميًّا مِنْ أوقاتٍ في تصفُّحِ برامجِ التَّواصلِ الاجتماعيِّ (تويتر - فيس بوك - انستقرام - واتس أب - تلغرام)؟ حتَّى غدا الهاتفُ لا يُفارِقُ أيدينا حتَّى عند النَّومِ!

يا أهلَ القرآنِ... واللَّه لو عامَلْنا القرآنَ الكريمَ - وهو بلا شكٍّ أعظمُ وأشرفُ وأقدسُ من الدُّنيا وما فيها - كما نُعامِل برامجَ التَّواصلِ الاجتماعيِّ لَخَتَمْنَا القرآنَ في كلِّ شهرٍ مرَّةً بل مرَّاتٍ! وإنَّ مِنْ تمامِ حُجةِ اللَّهِ علينا أنْ يسَّرَ لنا القرآنَ في هذا العصرِ، حتَّى أصبحَ الواحدُ منَّا يملك مصحفًا في هاتفِه، يستطيعُ بكلِّ يُسرٍ وسهولةٍ أنْ يقرأَ به.

لا عذرَ لنا إنْ هجرنا تلاوةَ كتابِ ربِّنا بِحُجَّةِ الأعمالِ والأوقاتِ، فالواقعُ يُؤكِّد بكلِّ وضوحٍ عدم صحةِ هذه الادِّعاءات.

يا أهلَ القرآنِ... الواجبُ علينا أنْ نجعلَ لأنفسنا وردًا من القرآنِ لا نتركه أبدًا قَلَّ ذلك أو كَثُر، المهم أنْ نُحافظَ عليه يوميًّا، فقد كان للنَّبيِّ ﷺ وردٌ من القرآنِ يُحافظ عليه لا يتركه البَتَّةَ، يقول أَوسُ بن حُذيفة الثَّقفي: «قدِمنا على رسولِ اللَّهِ ﷺ في وفدِ ثقيفٍ، فأبطَأ علينا ذاتَ ليلةٍ فقال: إنَّه طرأَ عليَّ حزبِي من القرآنِ، فكرِهتُ أنْ أخرجَ حتَّى أقضِيَهُ»(٧٢)، هذا مع أنَّه رسول اللَّه، وهو أعلم هذه الأمَّةِ باللَّهِ، وأتقاهُم له، ومع ذلك لا يترك وِردَهُ ولو لأجلِ دعوةِ النَّاسِ وتعليمِهم.

❊ ❊ ❊

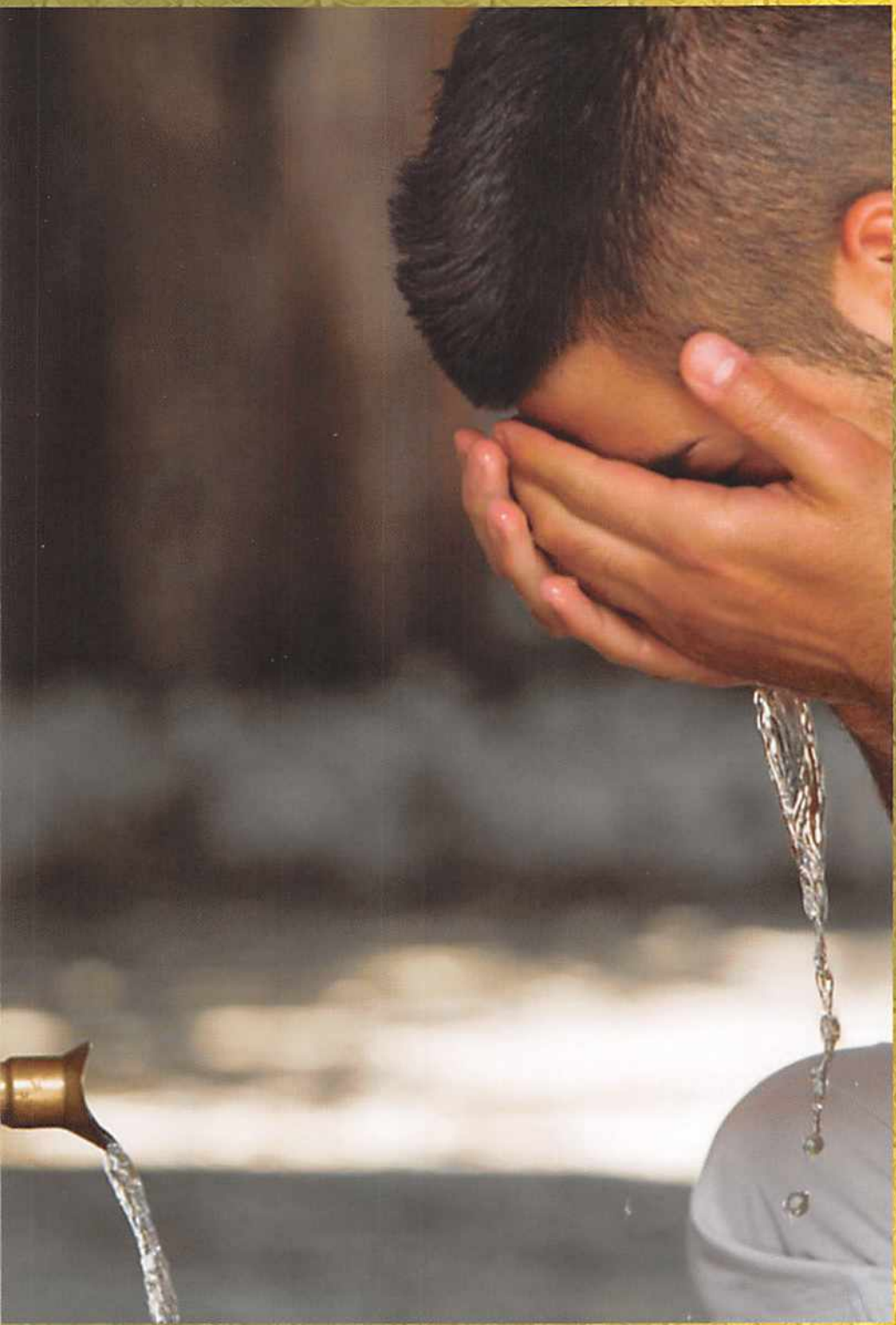

القاعدة الرابعة

الطهارة عند تلاوة القرآن وحمله ولمسه

الطهارة عند تلاوة القرآن وحمله ولمسه

المعنى الإجمالي

من تعظيم قدر القرآن العظيم عند لمسه أو حمله أو حتى تلاوته أن تكون طاهرا من الحدثين الأكبر والأصغر، فقد أجمع العلماء رحمهم الله تعالى على أن تلاوة القرآن أو لمسه على طهارة أفضل وأكمل، بعيدا عن أي خلاف فقهي.

١- قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فإذا كانت الصُّحف الَّتي في السَّماءِ لايمسُّها إلَّا المطهرون، فكذلك الصُّحف الَّتي بأيدينا من القرآنِ لاينبغي أنْ يمسَّها إلَّا طاهر[٧٣].

٢- وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾، استنبطَ العلماءُ رحمهم اللَّه مِنْ هاتين الآيتين: أنَّ المُحدِثَ لا يمسُّ المصحف، لأنَّ الملائكةَ يُعظِّمون المصاحفَ المشتملةَ على القرآنِ في الملأ الأعلى، فأهلُ الأرضِ بذلك أولى وأحرى لأنَّه نَزَلَ عليهم، وخطابُه مُتوجِّهٌ إليهم، فهم أحقُّ أنْ يُقابلوه بالإكرامِ والتَّعظيمِ، والانقيادِ له بالقبولِ والتَّسليم.

٣- عن عمرو بن حزمٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كتب إلى أهلِ اليمنِ: «أنْ لا يَمسَّ القرآنَ إلا طاهر»[٧٤].

٤- ثبت في الصَّحيحين مِنْ حديثِ أبي الجُهَيْم رضي الله عنه قال: «أقبل النَّبيُّ ﷺ مِنْ نحوِ بئرِ جملٍ، فلقِيَهُ رجلٌ فسلَّمَ عليه، فلم يرُدَّ عليه النَّبيُّ ﷺ حتَّى أقبلَ على الجدارِ، فمسحَ بوجهِهِ ويَدَيْهِ، ثُمَّ ردَّ عليه السَّلام»[٧٥].

٥- وما رواه المهاجر بن قنفذ: أنَّه أتى النَّبيَّ ﷺ وهو يبُولُ، فسلَّمَ عليه، فلم يرُدَّ عليه، حتَّى توضَّأَ، ثُمَّ اعتذر إليه فقال «إنِّي كرِهتُ أنْ أذكُرَ اللَّه إلَّا على طُهرٍ» أو قال «على طهارةٍ»[٧٦]. فإذا كان هذا في مُجرَّدِ السَّلامِ، فَلَأنْ يكونَ في تلاوةِ كتابِ اللَّه تعالى ولمسِه مِنْ بابِ أولى وأحرى[٧٧].

٦- عن علي رضي الله عنه أنَّه أَمَرَ بالسِّواكِ وقال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ العبدَ إذا تسوَّكَ، ثُمَّ قامَ يُصلِّي قامَ المَلَكُ خلفَه، فتسمَّعَ لقراءتِه، فيدنو منه - أو كلمةً نحوها - حتَّى يضعَ فاهُ على فِيهِ، فما يخرجُ مِنْ فِيهِ شيءٌ من القرآنِ إلَّا صارَ في جوفِ المَلَك، فطهِّروا أفواهكم للقرآنِ»[٧٨].

١- عن عبيدةَ رضي الله عنه قال: «كان عمر يكرهُ أنْ يقرأَ القرآنَ وهو جنب»[٧٩].

٢- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لا يقرأُ الجُنُبُ القرآنَ»[٨٠]، وهو مروي عن مجاهد وابن المسيب[٨١].

٣- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «اقْرَءُوَا الْقُرْآنَ ما لَمْ يَكُنْ أَحَدُكُمْ جُنُبًا، فإذا كان جُنُبًا فلا، ولا حَرْفًا وَاحِدًا»[٨٢].

٤- عن مصعب بن سعد، أنَّه قال: كنتُ أمسكُ المصحفَ على سعد بن أبي وقاصٍ، فاحتَكَكْتُ، فقال سعد: «لعلك مَسَسْتَ ذَكَرَك؟»، فقلت: نعم، فقال: «قُم فتوضَّأ»، فقمت فتوضَّأْتُ، ثُمَّ رجعت[٨٣].

٥- وعن عبد الرَّحمن بن يزيد أنَّ سيدَنا سلمانَ الفارسيَّ قضى حاجته فخرج ثُمَّ جاء، فقلت: لو توضَّأتَ لعلَّنا نسألُك عن آياتٍ؟ قال: «إنِّي لستُ أَمَسُّهُ، لا يَمَسُّهُ إلا المطهرون، فقرأَ علينا ما شئنا»[٨٤].

٦- قال إسحاقُ بن راهَوْيه: لا يقرأ أحدٌ في المصحفِ إلا وهو متوضِّئ[٨٥].

٧- قال إسحاق بن منصور الكوسج قلت. يعني للإمام أحمد.: هل يقرأُ الرَّجل على غير وضوءٍ؟ قال: نعم، ولكن لا يقرأ في المصحفِ إلا متوضِّئٌ[٨٦].

٨- قال يزيد بن أبي مالك: إنَّ أفواهكَم طُرقٌ مِنْ طُرقِ القرآنِ، فطهِّروها ونظِّفوها ما استطعتم[٨٧].

الرِّسالة الأولى: طهارةُ التَّعظيم

أجمع العلماء رحمهم اللَّه تعالى على أنَّ تلاوةَ القرآنِ مع الطَّهارةِ أفضلُ وأكمَلُ مِنْ تلاوتِه مِنْ غيرِ طهارةٍ، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمعَ المسلمون على جوازِ قراءةِ القرآنِ للمُحْدِثِ الحَدَثَ الأصغر، والأفضل أنْ يتوضَّأ لها»[٨٨].

أمَّا مسُّ المصحفِ وحملُه، فقد ذهب جمهور العلماء ومنهم الأئمَّة الأربعة إلى وجوبِ التَّطَهُّرِ لحملِ المصحفِ ومسِّهِ، وبعيدًا عن أي خلافٍ فقهي في مثل هذه المسائلِ، فلا شكَّ أنَّ الطَّهارةَ في كلِّ ما سبقَ هي الأكملُ والأفضلُ والأكثرُ أجرًا، خاصَّةً إنْ صَاحَبَ ذلك نِيَّةَ التَّعظيم لكلام اللَّه تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، فتعظيمُ القرآنِ مِنْ تعظيمِ اللَّهِ، هذا بالإضافةِ لما يصاحب الطَّهارةَ مِنْ إزالةِ الذُّنوبِ وغسلِ أعضاءِ الوضوءِ وتطهيرِها مِنْ أدرانِ المعاصي، كي تنتفعَ جميعُ الأعضاءِ بكتابِ اللَّهِ، قال ﷺ: «إذا توضَّأَ العبدُ المسلمُ فغسلَ وجهَهُ خرج مِنْ وجهِهِ كلُّ خطيئةٍ نظر إليها

بعيْنَيْهِ مع الماءِ أو مع آخرِ قَطْرِ الماءِ، فإذا غسل يدَيْهِ خرج مِنْ يدِيْهِ كلُّ خطيئةٍ كان بَطَشَتْها يدَاهُ مع الماءِ أو مع آخرِ قَطْرِ الماءِ، فإذا غسل رجلَيْهِ خرجت كلُّ خطيئةٍ مَشَتْها رجلَاهُ مع الماءِ أو مع آخرِ قَطْرِ الماءِ، حتَّى يخرُجَ نقيًّا من الذُّنُوب»[٨٩].

الرِّسالة الثَّانية: الطَّهارة الواجبة

إنَّ تطهيرَ أدواتِ التِّلاوةِ الَّتي تتعاملُ مِنْ خلالِها مع القرآنِ وتنظيفَها مَّما عَلِقَ بها مِنْ معاصٍ وذُنوبٍ ومُكفِّراتٍ من الأمورِ الواجبةِ على كلِّ مَنْ أرادَ أنْ ينتفعَ بكتابِ اللَّه تعالى.

لأنَّ نظافةَ وطهارةَ الوِعاءِ شرطٌ للانتفاعِ من المضمونِ! فكيف تَحسُنُ تلاوةُ القرآنِ وتدبُّرُه بعينٍ لوَّثتْهَا النَّظراتُ المحرَّمةُ؟ أو بأُذُنٍ دنَّستْهَا الأصواتُ المنكرةُ ومزاميرُ الشَّيطانِ؟ أو بلسانٍ نجَّستْهُ الغِيبَةُ والنَّميمةُ والكذِبُ والافتراءُ والسُّخريةُ والاستهزاءُ؟ وكيف يَعِي القرآنَ ويتفاعلُ معه قلبٌ عليه أَكِنَّةٌ وأغطيةٌ وحُجُبٌ وموانعُ الشُّبهاتِ والشَّهواتِ والرَّغبةِ في المعاصي والمنكراتِ، والإقبالِ على الرَّذائلِ والمُحرَّماتِ، وقد أفسدتهُ الأمراضُ والآفاتُ من الرِّياءِ والعُجْبِ والتَّكبُّرِ؟

إنَّ القرآنَ كالمطر، فكما أنَّ المطرَ لا يُؤثِّرُ في الجمادِ والصَّخرِ، ولا يتفاعلُ معه إلا التُّربةُ المُهيَّأةُ، فكذلك القرآنُ لا بُدَّ أنْ ينزِلَ على بيئةٍ صالحةٍ ليتفاعلَ معها، ويُؤَثِّرَ بها، ويَحيَا مِنْ خلالها، وهذه البيئةُ هي الحواسُّ والقلوبُ الَّتي تُقبِلُ عليه[٩٠].

يا أهلَ القرآنِ... إنْ كان مِنْ عظمةِ القرآنِ أنْ لا يمسَّه إلا طاهرٌ، فمِنْ طريقِ أولى أنْ لا يُحفظَ القرآنُ إلا في أطهرِ مكانٍ وأحسنِهِ.

يا أهلَ القرآنِ... إنَّ قلوبَكم قد حفظتْ القرآنَ العظيمَ فصارت له حافظًا ووعاءً، وأي شرفٍ لكم مثل هذا الشَّرف، ولكن تذكَّروا أنَّ طهارةَ القلبِ والحرصَ على نظافتِه مِنْ أمراضِه مِنْ أَولَى الواجباتِ عليكم.

يا أهلَ القرآنِ... إيَّاكم أنْ يطَّلِعَ اللَّهُ تعالى على حسدٍ في قلوبِكم أو رياءٍ في تلاوتِكم فإنَّ ذلك مَّما تُفسَدُ فيه الأعمالُ والأقوالُ، فكم مِنْ متطهِّرٍ بالماءِ والوضوءِ قد ترك في قلبِه من الأوساخِ والأدرانِ ما لا يغسله ماءُ البحرِ... فاحذروا.

يا أهلَ القرآنِ... اللَّهَ اللَّهَ في طهارةِ الظَّاهرِ والباطنِ عند تلاوةِ القرآنِ العظيم، فإنَّ القلبَ الطَّاهرَ الَّذي وعَى القرآنَ لا تَحرِقُهُ النَّارُ أبدًا، والنَّبيُّ ﷺ قال: «لو جُعِل القرآنُ في إهابٍ ثُمَّ أُلقي في النَّارِ ما احترَق»[٩١].

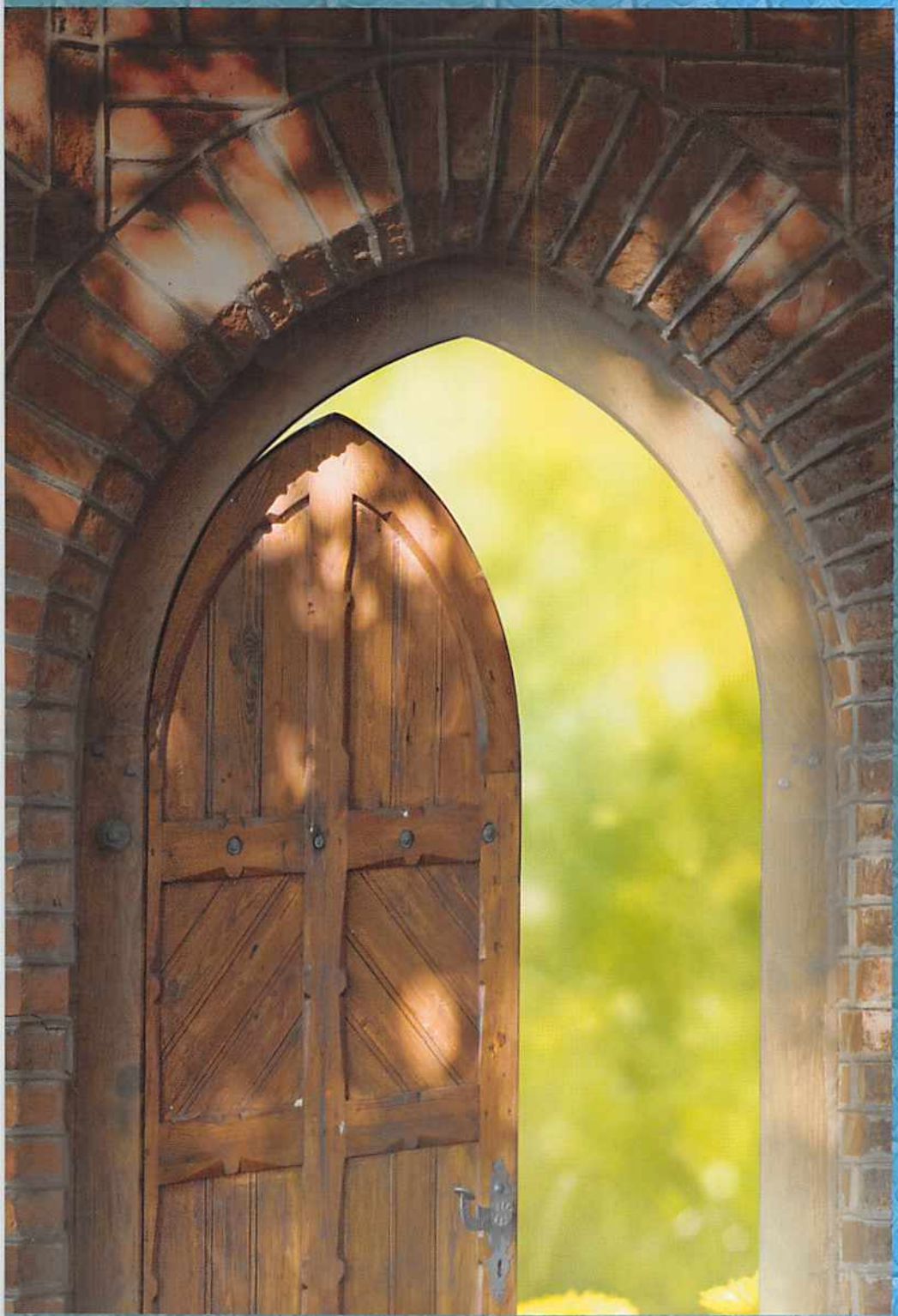

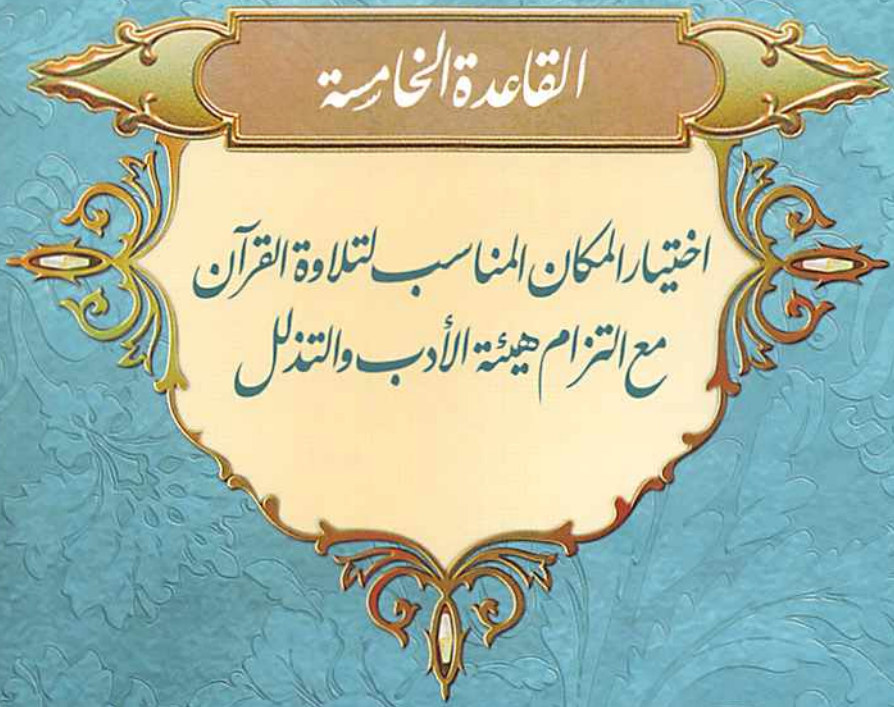
القاعدة الخامسة
اختيار المكان المناسب لتلاوة القرآن
مع التزام هيئة الأدب والتذلل

اختيار المكان المناسب لتلاوة القرآن
مع التزام هيئة الأدب والتذلل

المعنى الإجمالي

من تعظيم قدر القرآن العظيم أن تختار عند تلاوتك للقرآن الجلسة المناسبة والهيئة الخاشعة التي تُظهر فيها عبوديتك وتذللك وخضوعك لله تعالى، ليكون ذلك عونا على الانتفاع بالتلاوة، وأقرب إلى الخشوع والخضوع، فإن العبد كلما خضع لمولاه أعطاه.

١- قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى نفرٌ مِنْ يهودِ فدعوا رسولَ اللَّه ﷺ إلى القُفِّ[٩٢]، فأتاهم في بيتِ المِدْرَاس فقالوا يا أبا القاسمِ إنَّ رجُلاً منَّا زنى بامرأةٍ فاحكم بينهم فوضعوا لرسولِ اللَّه ﷺ وسادةً فجلس عليها ثم قال «ائتوني بالتَّوراةِ» فأُتِيَ بها فنَزَعَ الوِسادةَ مِنْ تَحتهِ ووضع التَّوراةَ عليها ثم قال «آمنت بك وبمن أنزلك»[٩٣].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ لكلِّ شيءٍ سيدًا، وإنَّ سيدَ المجالسِ قِبالَة القبلة»[٩٤].

٤- عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «أَلا وإنِّي نُهِيتُ أنْ أقرأَ القرآنَ راكعًا أو ساجدًا، فأمَّا الرُّكوعُ فعظِّموا فيه الرَّبَّ عزَّ وجلَّ، وأمَّا السُّجودُ فاجتهدوا في الدُّعاءِ فَقَمِنٌ أنْ يُستجابَ لكم»[٩٥]. قال في عون المعبود: «فنهي عن القراءةِ فيهما تعظيمًا للقرآنِ الكريمِ، وتكريمًا

لقارئه القائمُ مقامَ الكليم، واللَّهُ بكلِّ شيءٍ عليم»[٩٦]. فحكمةُ النَّهي «أنَّ الرُّكوعَ والسُّجودَ حالان دالَّان على غايةِ الذُّلِّ والخضوعِ، ويناسبهما الدُّعاءُ والتَّسبيحُ، فنهي عن القراءةِ فيهما تعظيمًا للقرآنِ الكريم؛ لأنَّ كلامَ اللَّهِ لكونه في غايةِ العظمةِ والجلالةِ لا يُناسبُ قراءته في حالةِ الذِّلَّة والاستكانةِ، واللَّه أعلم»[٩٧].

١- كان أبو العالية «إذا قرأَ اعْتَمَّ ولبس وارتدى واستقبلَ القبلةَ»[٩٨].

٢- وكان ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما يكون بين يديه تَوْر إذا تَنَخَّع مَضْمَضْ، ثُمَّ أخذ في الذِّكرِ، وكان كلَّما تَنَخَّع مَضْمَضْ[٩٩].

٣- وكان عبد اللَّه بن مسعودٍ رضي الله عنه يُقرئُ النَّاسَ في المسجدِ جاثيًا على ركبتيه[١٠٠].

٤- وقال سعيد بن المسيب: مَنْ جلس في المسجدِ فإنَّما يُجالِسُ ربَّه فما حقُّه أنْ يقولَ إلا خيرًا[١٠١].

الرِّسالة الأولى: حُسن التَّلقي عن اللَّه

إنَّ مِنْ تعظيمِ القرآنِ العظيمِ أنْ تَجلسَ أثناءَ تلاوتِك للقرآنِ جِلسةً تدل على خُضوعِك للَّهِ تعالى واحترامِك للقرآنِ وتعظيمِه.

إنَّك عندما تقرأُ كلامَ اللَّهِ فإنَّما تَتلقى عن اللَّه تعالى كلامَه وأوامِرَه ونواهيَه، وهي حالةٌ لا بُدَّ أنْ تُظهِرَ فيها عبوديتَك للَّهِ تعالى وخضوعَك وخشوعَك.

أرأيت حالَ الجنديِّ حين يقرأُ رسائلَ قائدِه لنفسه أو للجُندِ مِنْ حوله كيف يكون، إنَّ حالك لا بُدَّ أنْ يكونَ أعظمَ وأخشعَ وأجلَّ مِنْ حالةِ ذلك الجندي، فإنَّك إنَّما تتلقى عن اللَّه سبحانه وتعالى، ولذلك ينبغي عليك أنْ تَستشعرَ عظمةَ ما تقرأ.

إنَّ أفضل «الجلساتِ لمُريدِ التِّلاوةِ: أنْ يستقبلَ القبلةَ جالسًا جِلسةَ التَّشهدِ للصَّلاةِ، وهي أظهرُ الجِلساتِ عبوديةً، فإذا تعِبَ مِنْ هذه الجِلسةِ فليحاول أنْ يجلسَ جِلسةً أخرى مناسبةً مُستقبل القبلةِ، وله أنْ يجلسَ أيَّةَ جِلسةٍ شاء، على أنْ

يظهرَ منها توقيرُه لكلامِ اللَّهِ، وتذلُّلُهُ للَّه، وإجلالُه له»[١٠٢].

ويُؤكد الإمام النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك فيقول: «يُستحبُّ للقارئِ في غيرِ الصَّلاةِ أنْ يستقبلَ القبلةَ فقد جاء في الحديثِ «خيرُ المجالسِ ما استُقبِل به القبلة»[١٠٣]، ويجلسُ مُتخشِّعًا بسكينةٍ ووقارٍ مُطرِقًا رأسه»[١٠٤]، ويقول الغزالي مبينا آداب التِّلاوة: «أنْ يكونَ على الوضوءِ واقفًا على هيئةِ الأدبِ والسُّكونِ، إمَّا قائمًا وإمَّا جالسًا مُستقبل القبلةِ، مُطرقًا رأسه غيرَ مُتربِّع ولا مُتكئ ولا جالس على هيئةِ التَّكبر، فإنْ قرأ على غيرِ وضوءٍ وكان مضطجعًا في الفراشِ فله أيضًا ولكنَّه دون ذلك، قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]. فأثنى على الكُلِّ، ولكنْ قدَّم القيامَ في الذِّكرِ، ثُمَّ القعودَ، ثُمَّ الذِّكرَ مضطجعًا»[١٠٥].

الرِّسالة الثَّانية: المسجدُ والقرآنُ لا يفترقان

المساجدُ هي بيوتُ اللَّه تعالى، وهي أشرفُ الأماكنِ وأفضلها على الإطلاقِ قال ﷺ: «أحبُّ

البلادِ إلى اللَّه مساجدها، وأبغضُ البلادِ إلى اللَّه أسواقها»[١٠٦]، والقرآنُ الكريمُ هو كلامُ اللَّهِ سبحانه وتعالى ومأْدُبَتُه، ولذلك لنْ تجدَ أفضلَ مِنْ بيوتِ اللَّه لتلاوةِ كلامِ اللَّه سبحانه وتدبُّرِه وتفهُّمِه.

إنَّ العلاقةَ بين المسجدِ والقرآنِ علاقةٌ وثيقةٌ حميمةٌ لا تنفصلُ ولا تنقطعُ، والمساجدُ ما بُنيت إلَّا للصَّلاةِ وذكرِ اللَّهِ وتلاوةِ القرآنِ، قال النَّبيُّ ﷺ عن المساجدِ: «إنَّما هي لذكرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، والصَّلاةِ، وقراءةِ القرآنِ»[١٠٧]، ولذلك ترى الرَّبطَ كثيرًا ما بين المسجدِ والقرآنِ في أحاديثِ النَّبيِّ ﷺ، ومِنْ ذلك:

قول النَّبيِّ ﷺ: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ مِنْ بيوتِ اللَّهِ، يتلون كتابَ اللَّه ويتدارسُونه بينهم، إلَّا نزلت عليهم السَّكينةُ، وغَشِيَتهُم الرَّحمةُ، وحَفَّتهمُ الملائكةُ، وذَكَرَهُم اللَّه فيمن عنده»[١٠٨].

وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «أيُّكم يُحبُّ أنْ يغدو كلَّ يوم إلى بطْحَان أو إلى العقِيقِ فيأتي منه بناقَتَين كَوْمَاوَيْن زَهْرَاوَين في غيرِ إثمٍ و لا قَطْعِ رَحِمٍ؟ فلأنْ يغدوَ أحدُكُم إلى المسجدِ فيتعلَّمَ أو

يقرأ آيتين مِنْ كتابِ اللَّهِ خيرٌ له مِنْ ناقتين، وثلاثٌ خيرٌ له مِنْ ثلاثٍ، وأربعٌ خيرٌ له مِنْ أربعٍ ومِنْ أعدادِهِنَّ من الإبلِ»[١٠٩].

وكذا ما رواه عقبةُ بنُ عامرٍ رضي الله عنه إذ يقول: خرج علينا رسول اللَّه ﷺ ونحن فى المسجدِ نتدارسُ القرآنَ، فقال: «تعلَّموا كتابَ اللَّهِ واقتَنُوه» -قال: وحسبتُ أنَّه قال: «وتغنُّوا به»- «فوالَّذى نفسى بيده لهو أشدُّ تفلُّتًا من المخاضِ من العقلِ»[١١٠].

ويقول جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما: دخل رسول اللَّه ﷺ المسجدَ، فإذا قومٌ يقرؤون القرآنَ، فقال: «اقرؤوا القرآنَ، وابتغوا به اللَّهَ عزَّ وجلَّ، مِنْ قبلِ أنْ يأتى قومٌ يُقيمُونه إقامةَ القدحِ يتعجَّلونَه ولا يتأجَّلونَه»[١١١]، والأحاديث في هذا كثيرة.

إنَّ تلاوةَ القرآنِ في المسجدِ تُعينُ القارئَ على تدبُّرِ القرآنِ وتفهُّمِه والعيشِ معه، لأنَّ القارئ يُحافظُ في المسجدِ على منافذِ القلبِ، فالعينُ لا ترى المُحرَّماتِ، والأذنُ لا تسمعُ إلا ما يُرضي اللَّهُ عزَّ وجلَّ، واللسانُ لا يتكلَّمُ إلَّا بخيرٍ، قال النَّوويُّ رحمه الله: «ويُستحبُّ أنْ تكونَ القراءةُ في مكانٍ نظيفٍ مُختارٍ، ولهذا استحبَ جماعةٌ من

العلماءِ القراءةَ في المسجدِ لِكونِه جامعًا للنَّظَافةِ وشرفِ البُقعةِ، ومُحصِّلاً لفضيلةٍ أخرى: وهي الاعتكافُ، فإنَّه ينبغي لكلِّ جالسٍ في المسجدِ الاعتكافُ سواءٌ أكثرَ في جلوسِه أو أقلَّ، بل ينبغي أوَّل دخولِه المسجدِ أنْ ينوي الاعتكافَ، وهذا الأدبُ ينبغي أنْ يُعتنى به، ويُشاعَ ذِكْرُه، ويَعرِفه الصِّغارُ والعوامُّ فإنَّه مما يُغفلُ عنه»[١١٢].

ومع هذا كلِّه ينبغي عليك أنْ لا تترُك تلاوةَ القرآنِ في البيتِ، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ نهى عن ذلك، وجعلَ البيتَ الَّذي لا يُقرأُ فيه القرآنُ كالمقبرةِ، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «صلُّوا في بيوتكم ولا تتَّخذوها قُبورًا»[١١٣]، ولا شكَّ أنَّ الصَّلاةَ تكونُ بالقرآنِ، وأصْرَحُ مِنْ ذلك قوله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إنَّ الشَّيطانَ ينفرُ من البيتِ الَّذي تُقرأُ فيه سُورةُ البقرة»[١١٤]، وعن عائشةَ رضي الله عنها عن النَّبيِّ ﷺ قال: «اجعلوا مِنْ صلاتِكم في بيوتِكم ولا تجعلوها قبورًا كما أعدَّت اليهودُ والنَّصارى بيوتَهم قبورًا، وإنَّ البيتَ لَيُتْلى فيه القرآنُ فيتراءى لأهلِ السَّماءِ كما تتراءى النُّجومُ لأهلِ الأرضِ»[١١٥]، فهذه الأحاديثُ

وغيرها تؤكِّد أهمِّيَّةَ أنْ تَجعلَ جزءًا مِنْ تلاوتِك وختمِك للقرآنِ في البيتِ، فَتَحِلّ البركةُ فيه، وتبتعدَ عن بيتك الشَّياطين، ويتربَّى الأبناءُ على مثلِ هذه العبادةِ العظيمةِ.

الرِّسالة الثَّالثة: تلاوةُ القرآنِ حيثُما تَيسَّر

لا شكَّ أنَّ تلاوتَك للقرآنِ وأنت جالسٌ على هيئةِ الأدبِ والتَّذلُّلِ أمرٌ مندوبٌ إليه، ولكن رُبَّما لا يتيسَّرُ ذلك لنا في كثيرٍ من الأحيانِ، إمَّا لعدمِ صلاحيةِ المكانِ للجلوسِ أو لأنَّ الإنسانَ يسيرُ أو نحو ذلك، مِنْ هنا لا بأسَ بتلاوةِ القرآنِ حسْبَما تَيسَّرَ خاصَّةً إنْ كان من الحفظِ، وقد جاءت مجموعةٌ من الأحاديثِ تُبيِّن ذلك، منها:

ما رَوتهُ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إذ قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ يتَّكِئُ في حِجْرِي وأنا حائض، فيقرأ القرآنَ»[١١٦].

وثبت أنَّ النَّبيَّ ﷺ «نام حتَّى انتصفَ اللَّيلُ أو قبله بقليلٍ أو بعده بقليلٍ استيقظَ فجلسَ فمسحَ النَّومَ عن وجهِه بيدهِ ثُمَّ قرأَ العشرَ آيات خواتيمَ سورةِ آل عمران»[١١٧].

وقد صحَّ عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّها قالت: «إنِّي لأقرأُ حِزبي وأنا مضطجعة على سَريري»[١١٨].

بل إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان أحيانًا يقرأُ القرآنَ وهو على الرَّاحلةِ ونحو ذلك، فعن عبد اللَّه بن مُغَفَّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيتُ رسولَ اللَّه ﷺ يومَ فتح مكَّة، وهو يقرأُ على راحلته سورةَ الفتحِ»[١١٩]، وهذة سنَّةٌ لا بُدَّ مِنْ إحيائها في ركوبنا لمختلفِ وسائلِ النَّقلِ المُريحةِ في هذا الزَّمان، خصوصًا أنَّ بعضَ رحلاتِ التَّنقُّلِ البرِّيَّة أو الجوِّيَّة أو البحريَّة تستغرقُ السَّاعاتِ الطِّوالَ، ورُبَّما الأيَّامَ المتتابِعةَ، لكنْ يحرصُ القارئُ على أنْ ينشغلَ بتلاوتِه خاشعًا للَّه تعالى يطلبُ ما عنده سبحانه.

فالحاصلُ أنَّه يَجوزُ تلاوةُ القرآنِ حسْبَما تَيسَّر لكنْ بلا شكٍّ أنَّه دون حالةِ الجلوسِ مع استقبالِ القبلةِ، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو قرأ قائمًا، أو مضطجعًا، أو في فراشه، أو غير ذلك من الأحوالِ جازَ، وله أجرٌ، ولكن دون الأوَّل»[١٢٠].

لكنْ لا بُدَّ أنْ يُراعي المكانُ إنْ كان فيه معازفٌ أو لغطٌ لا يستطيعُ معه أنْ يتدبَّرَ ما يقرأ، وقد نصَّ القُرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ على ذلك فقال: «ألَّا يقرأَ في

الأسواقِ ولا في مواطِن اللغطِ واللغوِ، ومَجْمَعِ السُّفهاءِ، ألَا تَرى أنَّ اللَّه تعالى ذكرَ عبادَ الرَّحمنِ وأثنى عليهم بأنَّهم ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾، هذا المرور بنفسه، فكيف إذا مرَّ بالقرآنِ الكريم تلاوةً بين ظهْرانِيِّ أهلِ اللغوِ ومَجْمَعِ السُّفهاءِ»[١٢١].

إلى أهل القرآن وخاصته

يا أهلَ القرآن. . . ليس هناك أحدٌ أحقَّ منكم مِنْ حُسنِ التَّزيُّنِ والتَّجمُّلِ عند تلاوةِ القرآنِ، فأنتم أهلُ القرآنِ، وأنتم أهلُ اللَّه، وأنتم القدوةُ للأجيالِ، وقد نصَّ العلماءُ رحمهم اللَّه تعالى أنَّ مِنْ حقِّ القرآنِ وحرمتِه عند تلاوتِه أنْ يَلبسَ الواحدُ منَّا كما يَلبسُ للدُّخولِ على الأميرِ، بل إنَّ الأمر أعظم مِنْ ذلك، فاللَّهُ أحقُّ وأجلُّ وأعظمُ مِنْ كلِّ ملوكِ الدُّنيا.

يا أهلَ القرآنِ. . . إنَّ من الآدابِ الجميلةِ الَّتي ينبغي أنْ تُغرَسَ في نُفوسِ الأطفالِ تعليمِهم الجُلوسَ بخشوعٍ وأدبٍ عند إرادةِ تلاوةِ القرآنِ، فإنَّ ذلك مِنْ تعظيمِ القرآنِ، وما أجمل ما نراه مِنْ أدبِ بعضِ الصِّغارِ عند تلاوةِ القرآنِ، فإنَّه لا يقرأُ حتَّى يجلسُ متربِّعًا واضعًا يديه على صدره، كلُّ ذلك تعظيمًا لكلامِ اللَّه.

* * *

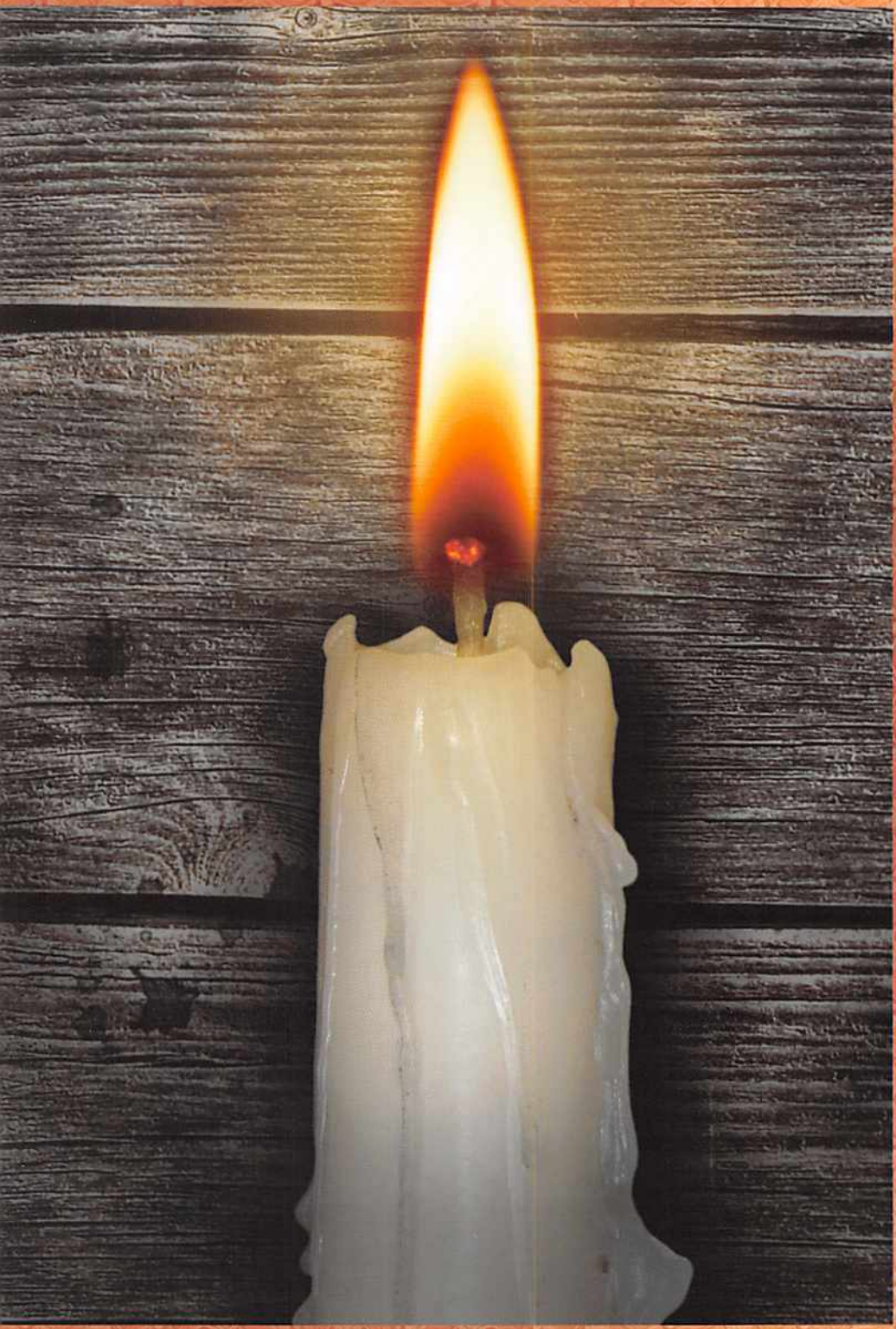

القاعدة السادسة

الاستعاذة بالله عند افتتاح قراءة القرآن

الاستعاذة بالله عند افتتاح قراءة القرآن

المعنى الإجمالي

من تعظيم قدر القرآن العظيم عند تلاوته أن لا تقرأه مباشرة، وإنما تفتتح تلاوتك بالالتجاء إلى الله، والعوذ به، والاحتماء بحماه، فالاستعاذة بالله قبل الشروع في التلاوة عنوان البدء بالقراءة، وهي من تهيئة المكان القلبي باستعداده لتلاوة واستقبال آيات الله، وتهيئة المكان الحسي بطرد الجن الكافر والشياطين ووساوسهم.

١- قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. يقولُ تعالى ذِكْرُه لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ: وإذا كنت يا محمَّدُ قارئًا القرآنَ فاستعذ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيم[١٢٢]، وهذا الأمرُ للاستحبابِ في قولِ جمهورِ العلماءِ.

٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسولُ اللَّه ﷺ إذا قام من اللَّيلِ كبَّر ثُمَّ يقولُ: «سبحانك اللَّهمَّ وبحمدك، وتبارك اسمُك، وتعالى جَدُّك، ولا إله غيرُك»، ثُمَّ يقولُ: «لا إله إلا اللَّه» ثلاثًا، ثُمَّ يقولُ: «اللَّه أكبر كبيرًا» ثلاثًا، «أعوذ باللَّهِ السَّميعِ العليمِ من الشَّيطانِ الرَّجيم، مِنْ هَمْزِهِ ونَفْخِهِ ونَفْثِهِ» ثُمَّ يقرأ[١٢٣].

مِنْ هَمْزِهِ: وسوسةُ الشَّيطانِ، ونَفْخِهِ: الكِبْر، ونَفثِهِ: السِّحر.

٣- وعن أبي أُمامةَ الباهليِّ رضي الله عنه قال: كان رسولُ اللَّه ﷺ إذا دخل في الصَّلاةِ من اللَّيلِ كبَّر ثلاثًا، وسبَّح ثلاثًا، وهللَّ ثلاثًا، ثُمَّ يقول:

«اللَّهمَّ إنِّى أعوذ بك من الشَّيطانِ الرَّجيم، مِنْ هَمْزِهِ، ونَفْخِهِ، وشِرْكِهِ»[١٢٤].

٤- عن سليمانَ بنِ صُرَد قال: اسْتَبَّ رجلان عند النَّبيِّ ﷺ ونحن عنده جلوسٌ، وأحدهما يسبُّ صاحبَه مغضبًا قد احمرَّ وجهه، فقال النَّبيُّ ﷺ: «إنِّي لأعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذُ باللَّه من الشَّيطانِ الرَّجيم». فقالوا للرَّجلِ: ألَا تسمعُ ما يقولُ النَّبيُّ ﷺ؟ قال إنِّي لست بمجنون»[١٢٥].

١- عن الأسود قال: افتتح عمر الصَّلاةَ ثُمَّ كبَّر، ثُمَّ قال: سبحانك اللَّهمَّ وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جَدُّك ولا إله غيرك، أعوذ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيم، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١٢٦).

٢- وكان طاوس رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: ربِّ أعوذ بك مِنْ همزاتِ الشَّياطين، وأعوذ بك ربِّ أنْ يحضُرون، أعوذ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ، إنَّ اللَّهَ هو السَّميعُ العليمُ(١٢٧).

٣- قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ما مِنْ مولودٍ يولدُ إلَّا على قلبِه الوسواسُ، فإذا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وإذا غَفَلَ وسْوَسَ(١٢٨).

٤- عن ابن جُريجٍ قال: قلت لنافع: كيف كان ابن عمر يستعيذ؟ قال: كان يقول: اللَّهمَّ أعوذ بك من الشَّيطانِ الرَّجيمِ(١٢٩).

٥- عن ابن جريج عن عطاء قال: الاستعاذةُ واجبةٌ لكلِّ قراءةٍ في الأرضِ في الصَّلاةِ أو غيرها، قلت له: مِنْ أجل ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ قال: نعم،

أقول: «بسم اللَّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ، أعوذ باللَّه السَّميعِ العليمِ الرَّحمنِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ، وأعوذ بك ربِّ أن يحضُرون، أو يدخلوا بيتي الَّذي يُؤويني» قال: وقل ما أبلغ هذا القول كله كثيرًا ما أدع أكثره قال: ويُجزِئ عنك أنْ لا تزيد على: «أعوذ باللَّه من الشَّيطانِ الرَّجيمِ»[١٣٠].

٦- عن العلاء بن المسيب عن رجلٍ عن إبراهيم قال: يُجزيك التَّعوُّذ في أوَّلِ شيءٍ[١٣١].

٧- عن هشام عن الحسن: كان يستعيذُ مرَّةً واحدةً في أوَّلِ صلاتِه[١٣٢].

٨- عن ابن سيرين أنَّه كان يتعوَّذُ من الشَّيطانِ في الصَّلاةِ قبل أنْ يقرأَ أمَّ القرآنِ وبعدما يقرأ أمَّ القرآنِ[١٣٣].

٩- عن هشام بن حسان قال: كان الحسن يستعيذُ في الصَّلاةِ مرَّةً حين يستفتحُ صلاتَه قبل أنْ يقرأَ فاتحة الكتابِ يقول: أعوذُ باللَّه السَّميعِ العليمِ من الشَّيطانِ الرَّجيم قال: وكان ابن سيرين يستعيذُ في كلِّ ركعةٍ[١٣٤].

الرِّسالة الأولى: عظمةُ الاستعاذة

ينبغي عليك يا قارئَ القرآنِ أنْ تُخَلِّيَ قلبَك لاستقبالِ كلامِ اللَّهِ، فتتفكَّرَ فيما تتلو من الآياتِ، وتتأمَّلَ ما فيها مِنْ أوامرَ ونواهٍ وأمثالٍ وحِكمٍ، لأنَّ مَنْ فاتَهُ ذلك فقد فاتَهُ الخيرُ الكثيرُ.

وهذه التَّخليَّةُ إنَّما تحصلُ بإذنِ اللَّه عند الاستعاذةِ باللَّه تعالى وحده، شَرِيطةَ أنْ تستحضرَ معنى الاستعاذةِ، وتصْدُقَ في قولِها.

والاستعاذةُ معناها: الالتجاءُ إلى اللَّهِ، والالتصاقُ بِجَنَابِه مِنْ شَرِّ كلِّ ذي شَرٍّ.

فأنت عندما تستعيذُ باللَّهِ فهذا يعني أنَّك تلتجئُ إلى اللَّهِ تعالى عند ابتداءِ القراءةِ، لئلَّا يُلَبِّسَ الشَّيطانُ عليك قراءتَك ويَخلِطَ عليك، ويَمنعَك من التَّدبُّرِ والتَّفكُّرِ[١٣٥]، فتفوتك بذلك الكنوز والفُيُوضَاتِ الإلهيةِ.

إنَّ الاستعاذةَ باللَّه من الشَّيطانِ الرَّجيم فيها «تمهيدٌ للجوِّ الَّذي يُتلى فيه كتابُ اللَّهِ، وتَطهيرٌ له من الوسوسةِ، واتجاهٌ بالمشاعرِ إلى اللَّهِ

خالصةً، لا يشغلُها شاغلٌ مِنْ عالَم الرِّجسِ والشَّرِّ الَّذي يُمثِّله الشَّيطانُ»[١٣٦].

وقد بيَّن ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ شيئًا مِنْ فوائدِ الاستعاذةِ قبل التِّلاوةِ فقال: «إنَّ الشَّيطانَ يَجلِبُ على القارِئ بِخَيْلِه ورَجِلِه حتَّى يَشغَلَهُ عن المقصودِ بالقرآنِ وهو تدبُّرُه وتفهُّمُه ومعرِفَةُ ما أراد به المتكلِّمُ به سبحانه، فيحرصُ بجهدِهِ على أنْ يَحُولَ بين قلبه وبين مقصودِ القرآنِ، فلا يَكْمُلُ انتفاعُ القارئِ به، فأُمِرَ عند الشُّروعِ أنْ يستعيذَ باللَّهِ عزَّ وجلَّ منه»[١٣٧].

ثُمَّ بيَّن فائدةً ثانيةً فقال: «أنْ القارئَ يُناجي اللَّهَ تعالى بكلامِه، واللَّه تعالى أشدُّ أَذَنًا- أي أشد استماعًا - للقارئِ الحسنِ الصَّوتِ بالقرآنِ مِنْ صاحبِ القينةِ إلى قينتِهِ، والشَّيطانُ إنَّما قراءتُهُ الشِّعر والغناءُ، فأَمَرَ القارئَ أنْ يطرُدَهُ بالاستعاذةِ عند مُناجاةِ اللَّه تعالى واستماعِ الرَّبِّ قراءتَه»[١٣٨].

ثُمَّ ذكر فائدةً ثالثةً للاستعاذةِ، فقال: «أنَّ اللَّه سبحانه أخبرَ أنَّه ما أرسلَ مِنْ رسولٍ ولا نَبِيٍّ إلَّا إذا تمنَّى ألقى الشَّيطانُ في أمنيَّتِه، والسَّلفُ كلُّهم على أنَّ المعنى إذا تلا ألقى الشَّيطانُ في تلاوتِه،

فإذا كان هذا فعلَهُ مع الرُّسُلِ عليهم السَّلام فكيف بغيرهم، ولهذا يُغلِطُ القارئَ تارةً، ويَخلِطُ عليه القراءةَ ويُشوِّشُها عليه، فيُخبطُ عليه لسانَه، أو يُشوِّش عليه ذهنَه وقلبَه، فإذا حضرَ عند القراءةِ لم يَعدمْ منه القارئ هذا أو هذا، ورُبَّما جمعهما له، فكان مِنْ أهمِّ الأمورِ الاستعاذةُ باللَّه تعالى منه»[١٣٩].

ويُضيفُ ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فائدةً رابعةً مِنْ فوائدِ الاستعاذةِ فيقولُ: «مِنْ لطائفِ الاستعاذةِ أنَّها طهارةٌ للفمِّ عمَّا كان يتعاطاهُ من اللَّغوِ والرَّفَثِ، وتَطييبٌ له، وتهيؤٌ لتلاوةِ كلامِ اللَّه»[١٤٠].

ولذلك اصْدُق مع اللَّهِ في طلبِ الالتجاءِ يَصدُقُكَ اللَّهُ، فمَعَاذَ اللَّهِ أنْ يَخذُلَ اللَّهُ مسلمًا لجأَ إليه، واستعاذَ به.

الرِّسالةُ الثَّانيةُ: خصوصيةُ الاستعاذةِ

الاستعاذةُ لا تُشرعُ بين يدي أيِّ كلامٍ غيرِ قراءةِ القرآنِ العظيمِ، فبعضُ النَّاسِ يذكُر الاستعاذة عند البَدءِ بذكرِ حديثٍ أو موعظةٍ ونحو ذلك، وهذا لا أصلَ له، لأنَّك بمُجردِ الاستعاذةِ تُوهِمُ أنَّ القادِمَ هو القرآنُ، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الاستعاذةُ قبل القراءةِ إعلامٌ بأنَّ المأْتِيَّ به بعدها القرآن، ولهذا لم تُشرعْ الاستعاذةُ بين يدي كلامِ غيره، بل الاستعاذةُ مُقَدِّمةٌ وتنبيهٌ للسامعِ أنَّ الَّذي يأتي بعدها هو التِّلاوة، فإذا سمِعَ السَّامعُ الاستعاذةَ استعدَّ لسماعِ كلامِ اللَّه تعالى»[١٤١].

كما أنَّ الاستعاذةَ ليست بقرآنٍ، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستعاذةُ ليست بقرآنٍ، ولم تُكتبْ في المصاحفِ، وإنَّما فيه الأمرُ بالاستعاذةِ وهذا قرآنٌ»[١٤٢].

مِنْ هنا كان من الأخطاءِ الشَّائعةِ قول القائل: «قال اللَّه تعالى: أعوذ باللَّه من الشَّيطانِ الرَّجيم ثُمَّ يتلو الآيةَ»، لأنَّ ظاهر اللَّفظِ يُوهِمُ أنَّ لفْظَ: «أعوذُ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ» مِنْ قول اللَّهِ وكأنَّه آيةٌ، والواقع خلاف ذلك.

وقال السُّيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الَّذي ظَهر لي مِنْ حيثُ النَّقل والاستدلال أنَّ الصَّوابَ أنْ يقول: قال اللَّه تعالى ويذكرُ الآيةَ، ولا يذكر الاستعاذةَ، فهذا هو الثَّابتُ في الأحاديثِ والآثارِ مِنْ فِعلِ النَّبيِّ ﷺ والتَّابعين فَمَنْ بعدَهم. . .والأحاديثُ والآثارُ في ذلك أكثرُ مِنْ أنْ تُحصرَ، فالواجبُ الاقتصارُ على

إيرادِ الآيةِ مِنْ غيرِ استعاذةٍ اتباعًا للوارِد في ذلك، فإنَّ البابَ بابُ اتِّباع، والاستعاذةُ المأمورُ بها في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ﴾ إنَّما هي عند قراءةِ القرآنِ للتِّلاوةِ، أمَّا إيرَادُ آيةٍ منه للاحتجاجِ والاستدلالِ على حُكم فلا، . . . وإنْ قال: قال اللَّه، أعوذُ باللَّه من الشَّيطانِ الرَّجيم، وذَكَرَ الآيةَ، ففيه من الفسادِ جَعْلُ الاستعاذةِ مقولاً للَّهِ، وليست مِنْ قوله»[١٤٣].

وقال الطَّاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستعاذةُ مشروعةٌ للشُّروعِ في القراءةِ أو لإرادتِه، وليست مشروعةً عند كلِّ تلفُّظٍ بألفاظِ القرآنِ كالنُّطقِ بآيةٍ أو آياتٍ من القرآنِ في التَّعليمِ أو الموعظةِ أو شبههما، خلافًا لما يفعله بعضُ المتحذِّقين إذا ساق آيةً من القرآنِ في غيرِ مقامِ القراءةِ أنْ يقولَ كقوله تعالى بعدَ أعوذُ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيم ويسُوقُ آية»[١٤٤].

وينبني على ما سبق مسألةٌ أخرى، وهي أنَّه لمَّا كانت الاستعاذةُ ليست آيةً من القرآنِ الكريم فإنَّ الأحوط والأفضل عند الإتيانِ بها أنْ تُقرأَ بشكلٍ مُعتادٍ، فلا تُرتَّلَ كالقرآنِ، لأنَّ التَّرتيلَ للقرآنِ الكريمِ فقط.

الرِّسالةُ الثَّالثةُ: صِيَغُ الاستعاذة

للاستعاذةِ صيغٌ كثيرةٌ[١٤٥]، أشهرها ما يلي:

الصِّيغةُ الأولى: «أعوذُ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ»، وهي ظاهرُ آيةِ النَّحل[١٤٦].

والصِّيغةُ الثَّانيةُ: «أعوذُ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ مِنْ هَمْزِهِ ونَفْخِهِ ونَفْثِهِ»، لحديثِ أبي أمامةَ رضي الله عنه في المسند[١٤٧].

والصِّيغةُ الثَّالثةُ: «أعوذُ باللَّهِ السَّميعِ العليمِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ مِنْ هَمْزِهِ ونَفْخِهِ ونَفْثِهِ»، لحديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه في سنن أبي داوود[١٤٨].

والصِّيغةُ الرَّابعةُ: «أعوذُ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ، إنَّ اللَّهَ هو السَّميعُ العليمُ»، مَرْوِيٌّ عن عمر رضي الله عنه وغيره.

والصِّيغةُ الأولى «أعوذُ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ» هي الصِّيغةُ المشهورةُ والَّتي عليها جُمهورُ القُراءِ، قال ابن الجزري رحمه الله: «إنْ المختارَ لجيمعِ القُراءِ مِنْ حيثُ الرِّوايةُ: أعوذُ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ»[١٤٩].

يقول الشَّيخ محمَّد المختار الشِّنقيطي عن هذه الصِّيغة: «وهذه الصِّيغةُ الَّتي وردت في سورةِ النَّحلِ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، وعليها جماهيرُ القراءِ، وهي أفضلُ مِنْ غيرها، وذلك لأنَّ اللَّهَ أمر بها وحدَّدَها في افتتاحِ كتابِه، والمُعيَّنُ أفضلُ مِنْ غير المُعيَّنِ، فيُعتبرُ تعيينها دليلاً على فضلِها، . . . وكَوْنُ النَّبيِّ ﷺ يستعيذُ أحيانًا بقوله: «أعوذُ باللَّهِ السَّميع العليم من الشَّيطانِ الرَّجيم، مِنْ هَمْزِهِ ونَفْخِهِ ونَفْثِهِ» فإنَّه يدلُّ على الجوازِ، وما دلَّ على الجوازِ ليس كما أُمِرَ به، فإنَّ اختيارَ اللَّهِ له يدلُّ على الفضلِ»[١٥٠].

الرِّسالةُ الرَّابعةُ: كي تكون استعاذَتُك مُؤَثِّرةً

كي تُؤدي استعاذتُك هدفَها وثمرتَها لا بُدَّ مِنْ أمرين:

الأول: إدراكُ حقيقةِ ضعفِكَ وحاجتِكَ إلى اللَّهِ سبحانه وتعالى كي يحفظَكَ مِنْ كيدِ الشَّيطانِ.

قال البُجَيْرميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: أعوذُ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيم: إقرارٌ من العبدِ بالعجزِ والضَّعفِ، واعترافٌ من العبدِ بقدرةِ الباري عزَّ وجلَّ، وأنَّه الغَنيُ القادرُ على رفعِ جميعِ

المَضرَّاتِ والآفاتِ، واعترافُ العبدِ أيضًا بأنَّ الشَّيطانَ عدوٌّ مبينٌ، ففي الاستعاذةِ التجاءٌ إلى اللَّهِ تعالى القادرِ على دفعِ وسوَسَةِ الشَّيطانِ الغويِّ الفاجرِ، وأنَّه لا يقدرُ على دفعهِ عن العبدِ إلا اللَّه تعالى»[١٥١].

الثَّاني: صدقُ التجائِك إلى اللَّه سبحانه وتعالى.

قال ابن سعيد الغرناطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ استعاذَ باللَّهِ صادقًا أعاذه، فعليك بالصِّدقِ، ألا ترى امرأةَ عمرانَ لما أعاذت مريمَ وذريتَها عصمَها اللَّهُ، ففي الحديثِ الصَّحيحِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «ما مِنْ مولودٍ إلَّا نَخَسَهُ الشَّيطانُ فيسْتَهِلُّ صارخًا إلَّا ابنَ مريمَ وأمَّهُ»[١٥٢]»[١٥٣].

ولذلك ينبغي لك أنْ تعيشَ معنى الاستعاذة، وأنْ تتدبَّرها، وأنْ تكونَ صادقًا في نُطقِها، لتتحقَّق الاستعاذةُ المطلقةُ باللَّهِ سبحانه وتعالى، فيُعيذُكَ اللَّهُ ويُبعدُ عنك كيدَ الشَّيطانِ فتنتفعَ بالقرآنِ أيَّما انتفاع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُستعيذُ باللَّهِ مُستجيرٌ به، لاجئٌ إليه، مُستغيثٌ به من الشَّيطانِ. . .فإذا عاذَ العبدُ بربِّهِ كان مُستجيرًا به متوكِّلًا عليه فيُعيذُه اللَّهُ من الشَّيطانِ ويُجيرُه منه»[١٥٤].

يا أهلَ القرآنِ... علِّموا طُلابَكم الاستعاذةَ الحقَّةَ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ، علِّموهم الأذكارَ والاستعاذاتِ النَّبويَّةِ عند النَّومِ وعند اليقظةِ... عند دخولِ الخلاءِ والخروجِ منه... عند الطَّعامِ والشَّرابِ، عند الخروجِ من المنزلِ والدُّخولِ إليه... وفي كلِّ شؤونِ حياتِنا، فإنَّ الشَّيطانَ أحرصُ ما يكونُ على حربِ القرآنِ وأهلِه، فرُبَّما أبعدَهُم عن القرآنِ الكريمِ، ورُبَّما أنساهم ما يَحفظُونَه مِنْ آياتِ الذِّكرِ الحكيمِ.

فعن عثمانَ بن أبي العاص رضي الله عنه قال: استعملني رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا أصغرُ السِّتةِ الَّذين وفَدُوا عليه مِنْ ثَقِيفٍ، وذلك أنِّي كنت قرأت سورةَ البقرةِ، فقلت: يا رسولَ اللَّهِ إنَّ القرآنَ ينفلِتُ منِّي، فوضعَ يده على صدري، وقال: «يا شيطانُ اخرج مِنْ صدرِ عثمان»، يقول عثمان: فما نسيتُ شيئًا بعده أُريدُ حِفْظه»[١٥٥].

يا أهلَ القرآنِ... إنَّ الشَّيطانَ يفرُّ من البيتِ الَّذي تُقرأُ فيه سورةُ البقرةِ، فكيف بالقلبِ الَّذي حَوى القرآنَ، وكيف بالصَّدرِ الَّذي وعاهُ، وكيف

باللِّسانِ الَّذي تلاهُ. . . فلا تتركوا وِردَ القرآنِ فإنَّه مِنْ أعظمِ ما يحفظُ المرءَ، وهو مَّما يُحصِّنُ اللَّهُ به الإنسانَ مِنْ كيدِ الشَّيطانِ.

قال ﷺ(١٥٦): «وآمركم أنْ تذكُروا اللَّهَ، فإنَّ مثلَ ذلك كمثلِ رجلٍ خرج العدوُّ في أثرِه سِراعًا، حتَّى إذا أتى على حصنٍ حصينٍ فأحرَزَ نَفْسَهُ منهم، وكذلك العبدُ لا يُحرِزُ نَفسَهُ من الشَّيطانِ إلَّا بذكرِ اللَّهِ(١٥٧).

يا أهلَ القرآنِ. . . كلَّما ابتعدتم عن القرآنِ كلَّما اقتربتم من الشَّيطانِ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾، وكلَّما اقتربتم من الشَّيطانِ كلَّما أنساكم ذكرَ اللَّهِ ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾.

إنَّ الشَّيطانَ لا يزالُ يُبعِدُ الواحدَ منَّا عن القرآنِ حتَّى يهجرَ القرآنَ، فإذا هَجَرَ القرآنَ أظلَمت الحياةُ، وضاقَ الصَّدرُ، وحارَ الفكرُ، وعندها تذهبُ الخيراتُ، وتَحُلُّ الوساوسُ والشَّهواتُ.

* * *

القاعدة السابعة

تلاوة القرآن الكريم
بترتيل وتجويد

تلاوة القرآن الكريم بترتيل وتجويد

المعنى الإجمالي

من تعظيم قدر القرآن العظيم أن تتعبد لله تعالى بترتيل القرآن وتجويده، لأن ذلك أقرب إلى الإجلال والتقدير، وأشد تأثيرا في القلوب، وصيانة لكتاب الله أن يختلط بغيره من كلام البشر، كيف وقد أمر الله عز وجل به في كتابه، وداوم عليه النبي صلى الله عليه وسلم طيلة حياته، وتناقله أصحابه ومن بعدهم إلى يومنا هذا على هذه الصفة والطريقة.

١- قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، أي: بيِّن القرآنَ إذا قرأته تبيينًا، وترسَّلْ فيه ترسُّلاً، والتَّبيينُ يَحصلُ بعدم الاستعجالِ في القراءةِ، وذلك بتوفيَتِها حقَّها من الإشباعِ(١٥٨).

٢- وقال اللَّه تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾.

٣- وعن حفصةَ رضي الله عنها قالت في صفةِ تلاوةِ رسول اللَّهِ ﷺ: «كان يقرأُ بالسُّورةِ فيُرتِّلُها، حتَّى تكونَ أطولَ مِنْ أطولِ منها»(١٥٩).

٤- وعن قَتادة رحمه الله قال: سُئل أنس: كيف كانت قراءة النَّبيِّ ﷺ؟ فقال: «كانت مدًّا»، ثُمَّ قرأ: بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيم، يمُدُّ ببسمِ اللَّهِ، ويمُدُّ بالرَّحمنِ، ويمُدُّ بالرَّحيمِ(١٦٠).

٥- عن علي رضي الله عنه قال: «إنْ رسولَ اللَّهِ ﷺ يأمُرَكم أنْ يقرأَ كلُّ رجلٍ منكم كما عَلِم»(١٦١).

٦- وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُقال لصاحبِ القرآنِ: اقرأ وارتَقِ ورتِّل كما كنت تُرتِّل في الدُّنيا، فإنَّ منزلك عند آخرِ آيةٍ تقرؤُها»(١٦٢).

١- قال عبد اللَّه بن مسعودٍ رضي الله عنه لمن قال له: إنِّي لأقرأُ المُفصَّلَ في ركعةٍ: «هذًا كهذِّ الشِّعْرِ، إنَّ أقوامًا يقرؤون القرآنَ لا يُجاوزُ تراقِيَهُم[١٦٣]، ولكنْ إذا وقعَ في القلبِ فَرَسَخَ فيه، نَفَعَ»[١٦٤].

٢- وعن أبي جمرة رحمه الله قال: قلت لابن عبَّاسٍ: إنِّي سريعُ القراءةِ، وإنِّي أقرأُ القرآنَ في ثلاثٍ، فقال: «لأنْ أقرأَ البقرةَ في ليلةٍ فأَدَبَّرُهَا وأُرَتِّلُهَا، أحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أقرأَ كما تقولُ»[١٦٥]. وفي روايةٍ: «فإنْ كنتَ فاعلاً لا بُدَّ، فاقْرَأْهُ قراءةً تُسمِعُ أُذُنَيكَ، ويَعِيه قلبُك»[١٦٦].

٣- وسُئل مُجاهد رحمه الله عن رجلين: قرأَ أحدُهما البقرةَ، وقرأَ الآخرُ البقرةَ وآل عمرانَ، فكان ركوعُهما وسجودُهما وجلوسُهما سواءً. أيُّهما أفضل؟ قال: «الَّذي قرأَ البقرة»، ثُمَّ قرأَ مُجاهد: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[١٦٧].

٤- قال التِّرمذي الحكيم: «ومِنْ حُرمتِه- أي القرآن- أنْ يقرأَهُ على تُؤَدَّةٍ وترسُّلٍ وترتيلٍ»[١٦٨].

الرِّسالةُ الأولى: تجويدُ القرآنِ أدعى للفَهمِ عن اللَّهِ عزَّ وجلَّ

القرآنُ الكريمُ كلامُ اللَّهِ سبحانه وتعالى، مُعجزٌ في ألفاظِه ومعانيه، لكنْ هذا الإعجازُ وهذا القرآنُ العظيمُ لا بُدَّ أنْ يُقَدَّمَ للقلوبِ والأسماعِ على أكملِ الوجوهِ وأحسنِها، ولذلك كان تجويدُ القرآنِ وتحسينُ الصَّوتِ به مِنْ هذا البابِ، كالهديَّةِ الثَّمينةِ النَّفيسةِ الَّتي مع نَفَاسَتِهَا وقيمتِها إلَّا أنَّها لا تُقَدَّم عادةً إلَّا بأفضلِ الطُّرقِ وأحسنِها، فتزدادُ عند ذلك جمالاً على جمالٍ.

مِنْ هنا كان تجويدُ القرآنِ الكريم مَدعاةً للفهم عن اللَّهِ تعالى، لأنَّك عندما تُجوِّدُ القرآنَ وتُرتِّلُه فإنَّك تَنطِقُ الكلماتِ على أفصحِ الوجوهِ وأظهرِها، فالتَّرتيلُ كما قال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هو: «التَّأنِّي والتَّمهلُ، وتبيين الحروفِ والحركاتِ»[١٦٩].

هذه القراءةُ الواضحةُ البيِّنةُ أدعى للفهم عن اللَّهِ وتدبُّر كلامه، قال الرَّازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّرتيلُ هو أنْ يذكرَ الحروفَ والكلماتِ مُبيَّنَةً ظاهرةً، والفائدةُ

فيه: أنَّه إذا وقعت القراءةُ على هذا الوجهِ فَهِمَ مِنْ نفسه معاني تلك الألفاظِ، وأفْهَمَ غيرَه تلك المعاني، وإذا قرأها بالسُّرعةِ لم يَفهم، ولم يُفهِم، فكان التَّرتيلُ أولى»[١٧٠].

وقد كَرِهَ العلماءُ رحمهم اللَّهُ تعالى الإفراطَ والإسراعَ في تلاوةِ القرآنِ لِما يُصاحبُ ذلك عادةً من الإخلالِ في تجويدِ القرآنِ الكريم، مما يترتَّب عليه عدمُ الإفهامِ والتَّدبُّر، والَّذي هو المقصودُ مِنْ تلاوةِ القرآنِ.

قال حرب: سألت الإمامَ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن السُّرعةِ في القراءةِ فكرهه، إلَّا أنْ يكونَ لسانُ الرَّجلِ كذلك، أو لا يقدر أنْ يَترسَّل، قيل: فيه إثْمٌ؟ قال: «أمَّا الإثمُ فلا أجترِئُ عليه»[١٧١]، وقال: «تُعجبني القراءةُ السَّهلةُ، وكرِه السُّرعةَ في القراءةِ»[١٧٢].

وقال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتفقوا على كراهةِ الإفراطِ في الإسراعِ، ويُسمَّى الهذُّ، قالوا: وقراءةُ جزءٍ بترتيلٍ أفضلُ مِنْ قراءةِ جزأين في قدرِ ذلك الزَّمنِ بلا ترتيلٍ، قال العلماء: والتَّرتيلُ مُستحبٌّ للتَّدبُّرِ، ولأنَّه أقربُ إلى الإجلالِ والتَّوقيرِ، وأشدُّ

تأثيرًا في القلبِ، ولهذا يُستحبُّ التَّرتيلُ للأعجميِّ الَّذي لا يفهم معناه»[١٧٣].

ولما سُئل الهوازي عن الحدر قال: «الحدرُ هو القراءةُ السَّمحةُ العذبةُ الألفاظُ الَّتي لا تُخرج القارئَ عن طباعِ العربِ العرباءِ، وعمَّا تكلَّمت به الفُصحاءُ، بعد أنْ يأتي بالرِّوايةِ عن إمامٍ مِنْ أئِمَّةِ القراءةِ»[١٧٤]، فبيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ جوازَ الحدرِ في القراءةِ شَريطةَ أنْ لا يُخلُّ بأحكامِ التَّجويدِ.

الرِّسالةُ الثَّانيةُ: المبالَغةُ والتَّنطُّعُ في تجويدِ القرآنِ سببٌ في الصَّدِّ عن فَهمِ القرآنِ!

لا شكَّ أنَّ مِنْ تعظيمِ قدرِ القرآنِ العظيمِ أنْ تقرأَ القرآنَ بترتيلٍ وتجويدٍ، لكنْ ينبغي أنْ تَعلم أنَّ التَّكلُفَ والتَّنطُّعَ في تجويدِ القرآنِ الكريمِ قد يكونُ سببًا في الصَّدِّ عن سماعِ كلامِ اللَّه وفهمِه ورُبَّما تعلُّمِه! فكما أنَّ تركَ تجويدِ القرآنِ سببٌ في الصَّدِّ عن فَهمِ القرآنِ، فكذلك المُبالغةُ والتَّنطُّعُ في تجويدِ القرآنِ، وقد صدق مَنْ قال: إنَّ الشَّيء إنْ زاد عن حدِّه انقلب إلى ضدِّه، وخيرُ الأمورِ أوسطها.

قال الحافظُ أبو عمرو الدَّاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّجويدُ هو حِليَةُ التِّلاوةِ، وزينةُ القِراءةِ، وهو إعطاءُ الحروفِ حقوقَها وترتيبَها مراتبَها، وردُّ الحرفِ إلى مَخرجِهِ وأصلِه، وإلحاقِه بنظيرِه وتصحيحُ لفْظِه وتلطيفُ النُّطقِ به على حالِ صيغتِه، وكمالِ هيئتِه، مِنْ غيرِ إسرافٍ ولا تعسُّفٍ ولا إفراطٍ ولا تكلفٍ، وإلى ذلك أشار النَّبيُّ ﷺ بقوله: «مَنْ أحبَّ أنْ يقرأَ القرآنَ غضًّا كما أُنزِل فليقرأْ قراءةَ ابنِ أمِّ عبدٍ»[١٧٥] يعني: عبدَ اللَّه بنَ مسعودٍ، وكان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قد أُعْطِيَ حظًّا عظيمًا في تجويدِ القرآنِ وتحقيقِه وترتيلِه كما أَنزَلَهُ اللَّهُ تعالى»[١٧٦]، وقال كذلك رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس التَّجويدُ بتمْضِيغِ اللِّسانِ، ولا بتَقْعِيرِ الفمِ، ولا بتَعْوِيجِ الفكِّ، ولا بترعيدِ الصَّوتِ، ولا بتمطيطِ الشَّدِّ، ولا بتقطيعِ المدِّ، ولا بتطنِينِ الغُنَّاتِ، ولا بِحَصْرَمَةِ الرَّاءَاتِ، قراءةٌ تَنفرُ عنها الطِّباعَ، وتَمُجُّهَا القلوبُ والأسماعُ، بل القراءةُ السَّهلةُ العذبةُ الحُلوةُ اللَّطيفةُ، الَّتي لا مَضْغَ فيها ولَا لَوكَ، ولا تَعسُّفَ ولا تكلُّفَ، ولا تصنُّعَ ولا تنطُّعَ، لا تخرجُ عن طباعِ العربِ وكلامِ الفصحاءِ

بوجهٍ مِنْ وجوهِ القراءاتِ والأداءِ»[١٧٧]، وهذه شهادةُ إمامٍ عارفٍ حاذقٍ بهذا الفن.

وقد تتابع العلماء رحمهم اللَّه بالتَّحذيرِ مِنْ ذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يجعلْ همَّته فيما حُجِبَ به أكثرُ النَّاسِ من العلومِ عن حقائقِ القرآنِ، إمَّا بالوسوسةِ في خُروجِ حروفِه وترقيقِها وتفخيمِها وإمالتِها والنُّطق بالمدِ الطَّويلِ والقصيرِ والمتوسطِ وغير ذلك، فإنَّ هذا حائلٌ للقلوبِ، قاطعٌ لها عن فَهمِ مُرادِ الرَّبِّ مِنْ كلامِه»[١٧٨].

وقد نَظَمَ الإمامُ السَّخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ أبياتًا في تحذيرِ القُرَّاء مِنَ التَّكَلُّفِ والتَّعَسُّف عند تلاوةِ القرآن، يقول في مطلعها:

يا مَنْ يرومُ تلاوة القرآن
ويرودُ شأو أئمةِ الإتقانِ
لا تحسب التجويدَ مداً مفرطاً
أو مدَّ ما لا مدَّ فيه لِوَانِ
أو أن تشدّد بعد مدٍّ همزةً
أو أن تلوك الحرفَ كالسكرانِ

أو أن تـفـوه بـهـمـزة مـتـهـوِّعـاً

فـيـفِـرَّ سـامـعُـهـا مـن الـغَـثَـيـانِ

لـلـحـرف مـيـزانٌ فـلا تَـك طـاغـيـا

فيه ولاتكُ مُخْسِرَ الميزانِ(١٧٩)

الرِّسالةُ الثَّالثة: المُفاضلةُ بين التَّرتيلِ والإسراعِ في تلاوةِ القرآنِ:

بدايةً ينبغي أنْ تَعلمَ أنَّ مراتبَ قراءة القرآنِ الكريمِ أربعة وهي:

المرتبةُ الأولى: التَّرتيل: وهو القراءةُ بتدبُّرٍ واطمئنانٍ مع الالتزامِ بأحكامِ التِّلاوةِ ومخارجِ الحروفِ.

المرتبةُ الثَّانيةُ: التَّحقيقُ: وهو كالتَّرتيلِ إلَّا أنَّه أكثرُ منه اطمئنانًا، ومرتبةُ التَّحقيقِ يُؤخَذُ بها في مقامِ التَّعليمِ.

المرتبةُ الثَّالثةُ: الحدْرِ: وهو الإسراعُ في القراءةِ مع الالتزامِ بأحكامِ التِّلاوةِ.

المرتبةُ الرَّابعةُ: التَّدويرُ: وهو مرتبةٌ متوسِّطةٌ بين التَّرتيلِ والحدْرِ.

وكما ترى أنَّ تجويدَ القرآنِ شرطٌ في جميعِ هذه المراتبِ وهذا مما ينبغي التَّأكيدُ عليه أولاً، أمَّا مسألةُ المفاضَلَةِ بين مرتبةِ الحدْرِ ومرتبةِ التَّرتيلِ، فقد اختلف السَّلفُ رحمهم اللَّه تعالى في ذلك، والتَّحقيقُ كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنَّ لكلٍّ مِن الإسراعِ والتَّرتيلِ جِهةَ فضلٍ، بشرطِ أنْ يكونَ المُسرِعُ لا يُخلُّ بشيءٍ من الحروفِ والحركاتِ والسُّكونِ الواجباتِ، فلا يَمتنِع أنْ يفْضُلَ أحدُهُمَا الآخرَ وأنْ يستويا، فإنَّ مَنْ رتَّلَ وتأمَّلَ كمَنْ تصدَّقَ بجوهرةٍ واحدةٍ مُثمَّنَةٍ، ومَنْ أسرَعَ كمَنْ تصدَّقَ بعدَّةِ جواهرَ لكنْ قيمتُها قيمة الواحدةِ، وقد تكون قيمةُ الواحدةِ أكثرَ مِنْ قيمةِ الأُخرياتِ، وقد يكون بالعكسِ»[١٨٠].

فالإنسانُ يفعلُ ما يراهُ أصلَحَ لقلبِه وأخشعَ، شريطةَ أنْ لا يُخلَّ بأحكامِ التِّلاوةِ.

أمَّا ما وردَ عن السَّلفِ رحمهم اللَّه تعالى في كراهيةِ الإسراعِ في تلاوةِ القرآنِ فإنَّما المرادُ به مع الإخلالِ في أحكامِ التِّلاوةِ مَّما يترتَّبُ عليه عدمُ تدبُّرِ القرآنِ، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «استحبابُ التَّرتيلِ لا يستلزِمُ كراهةَ الإسراعِ،

وإنَّما الَّذي يُكْرَه الهذُّ، وهو الإسراعُ المفرطُ بحيث يخفَى كثيرٌ من الحروفِ أو لا تخرجُ مِنْ مخارِجِها»[١٨١].

أمَّا الإسراعُ في تلاوةِ القرآنِ مع إقامةِ الحروفِ فلا شكَّ بجوازِ ذلك وإنْ أدَّى إلى قلةِ التَّدبُّرِ، قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خلافَ في جوازِ السَّردِ بدونِ تدبُّرٍ لكنَّ القراءةَ بالتَّدبُّرِ أعظمُ أجرًا»[١٨٢].

يا أهلَ القرآنِ. . . اعلموا أنَّ سِرَّ القراءةِ الخاشعةِ المؤثِّرةِ ليس في المبالغةِ في التَّجويدِ أو الألحانِ، وإنَّما سِرُّهَا في ثلاثةِ أمورٍ:

الأول: حُسنُ القصدِ والإخلاصِ:

فمَنْ قرأَ وأرادَ وجهَ اللَّهِ، جعلَ اللَّهُ لتلاوتِهِ قوةً وتأثيرًا، لأنَّ ما خرجَ من القلبِ دخل القلبَ، وما خرجَ من اللِّسانِ لم يتجاوزْ الآذانَ.

الثَّاني: تحسينُ الصَّوتِ قدرَ الاستطاعةِ:

وذلك يكون بالخشوعِ والخضوعِ، لا بالغناءِ والطَّربِ، قال ﷺ: «إنَّ مِنْ أحسنِ النَّاسِ صوتًا بالقرآنِ الَّذي إذا سمعتُمُوهُ يَقْرَأُ حَسِبتُمُوهُ يخشى اللَّه»(١٨٣).

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «مَحْمَلُ هذه الأحاديثِ الَّتي ذكرناها في حُسنِ الصَّوتِ إنَّما هو على طريقِ الحزنِ والتَّخويفِ والتَّشويقِ، فهذا وجهُه، لا الألحان المُطربة المُلهيَة»(١٨٤).

الثَّالث: إتقانُ أحكامِ التَّجويدِ:

وهذا الأمر مِنْ أهمِّ الأمورِ بعد الإخلاصِ، وبه

تستغني عن مقاماتِ أهلِ الغناءِ.

قال أبو عمرو الدَّاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه سنَّةُ اللَّه - تبارك وتعالى -، فمَنْ يقرأُ القرآنَ مُجوَّدًا مُصَحَّحًا كما أُنزِلَ تَلْتَذُّ الأسماعُ بتلاوتِه، وتخشعُ القلوبُ عند قراءتِه، حتَّى يكادَ أنْ يسْلُبَ العقولَ ويأخذَ الألبابَ، سِرٌّ مِنْ أسرارِ اللَّهِ تعالى يُودِعُه مَنْ يشاءُ مِنْ خلقِه، ولقد أدركْنَا مِنْ شُيُوخِنا مَنْ لم يكنْ له حُسنُ صوتٍ ولا معرفةٌ بالألحانِ إلَّا أنَّه كان جيِّدَ الأداءِ قيِّمًا باللَّفظِ، فكان إذا قرأَ أطربَ المَسامِعَ، وأخذَ من القلوبِ بالمجامعِ، وكان الخَلْقُ يَزدَحمونَ عليه، ويَجتمِعُون على الاستماعِ إليه، أُمَمٌ من الخواصِّ والعوامِّ، يشترك في ذلك مَنْ يعرفُ العربيَّ ومَنْ لا يعرِفُهُ مِنْ سائِرِ الأنامِ مع تركِهِم جماعاتٍ مِنْ ذَوِي الأصواتِ الحِسانِ، عارفين بالمقاماتِ والألحانِ لخُرُوجِهِم عن التَّجويدِ والإتقانِ»[١٨٥]. وهذه شهادةٌ نفيسةٌ من إمامٍ كبيرٍ مِنْ أئمَّةِ العلمِ والفضلِ والدِّينِ لا مَزِيدَ عليها.

يا أهلَ القرآنِ... إيَّاكم والمبالغةَ والتَّنطُّعَ في تلاوةِ القرآنِ، فتكُونوا سببًا في هجرِ النَّاسِ لتعلُّمِ

القرآنِ، فبعضُ النَّاسِ إنْ رَأى قارئَ القرآنِ تنتفخُ أوْدَاجُه، ويَحْمَرُّ وجهُه، ويكادُ يُغشى عليه مما يُصيبُه من الكَربِ في تكلُّفِه وتنطُّعِه عند تلاوةِ القرآنِ. . . صَرَفَهُ ذلك وبلا شكٍّ عن تعلُّمِ القرآنِ، ورُبَّما حتَّى سماعه.

يا أهلَ القرآنِ. . . إنَّ قراءةَ النَّبيِّ ﷺ كانت قراءةً سهلةً جميلةً عذبةً، وهكذا كان الصَّحابةُ رضي الله عنهم، ومَنْ بعدهم، وقد رغَّبَ النَّبيُّ ﷺ بتعلُّم هذه القراءةِ السَّهلةِ الغضَّةِ الطَّريَّةِ، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «مَنْ أحبَّ أنْ يقرأَ القرآنَ غضًّا كما أُنزِلَ فليقرأه على قراءةِ ابنِ أمِّ عبدٍ»(١٨٦).

* * *

القاعدة الثامنة

تحسين الصوت عند تلاوة القرآن الكريم

تحسين الصوت عند تلاوة القرآن الكريم

المعنى الإجمالي

من تعظيم قدر القرآن العظيم عند تلاوته أن تحسن صوتك بالقرآن قدر استطاعتك، لأن تحسين الصوت بالقرآن أوقع في النفوس، وأسمع في القلوب، وأدعى للخشوع، فالصوت الحسن زينة للقرآن، وهو حلية التلاوة، وهو بلا شك من تعظيم قدر القرآن العظيم.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «ما أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ ما أَذِنَ لنبيٍّ حَسَنِ الصَّوتِ يتغنَّى بالقرآنِ يجهرُ به»[١٨٧]، ومعناه: «أنَّ اللَّه تعالى ما استمعَ لشيءٍ كاستماعِه لقراءةِ نبيٍّ يجهرُ بقراءتِه ويُحسِّنُها، وذلك أنَّه يجتمعُ في قراءةِ الأنبياءِ طِيبُ الصَّوتِ لكمالِ خَلقِهِم وتمامِ الخَشيةِ، وذلك هو الغايةُ في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمعُ أصواتَ العباد كلِّهم بَرِّهم وفاجِرِهم»[١٨٨].

٢- وعن ابن أبي مُليكة قال: قال عُبيد اللَّه بن أبي يزيدٍ رضي الله عنهما: مَرَّ بنا أبو لُبَابةَ فاتَّبعنَاه، حتَّى دخل بيتَه فدخلنَا عليه، فإذا رجلٌ رثُّ الهيئةِ يقول: سمعت رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «ليس منَّا مَنْ لم يتغنَّ بالقرآنِ». قال: فقلت لابن أبي مُليكة: يا أبا محمَّد أرأيتَ إنْ لم يكنْ حَسَنَ الصَّوتِ؟ قال: يُحسِّنُه ما استطاع[١٨٩].

قال الشَّافعيُّ رحمه الله: ويُحسِّنُ صوتَه بأي وجهٍ كان، وأحبُّ ما يقرأُ حدرًا وتحزينًا، قال أهلُ اللُّغةِ: يُقال: حَدَرتَ القراءةَ: إذا دَرجتَها ولم

تُمطِّطُها، ويُقال: فلانٌ يقرأُ بالتَّحزينِ: إذا أرقَّ صوتَه[١٩٠].

٣- عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «زيِّنُوا القرآنَ بأصواتِكم»[١٩١].

أي بتحسينِ أصواتِكم عند القراءةِ، فإنَّ الكلامَ الحسنَ يزيدُ حُسنًا وزينةً بالصَّوتِ الحَسَنِ، وهذا مُشَاهَد[١٩٢].

٤- وعن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه قال: قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «حسِّنُوا القرآنَ بأصواتِكم، فإنَّ الصَّوتَ الحَسنَ يزيدُ القرآنَ حُسنًا»[١٩٣]. وذلك بالتَّرتيلِ وتحسينِ الصَّوتِ بالتَّليين والتَّحزينِ، قاله الطِّيبي[١٩٤].

٥- عن علقمةَ بنِ قيس قال: قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «حُسنُ الصَّوتِ زينةٌ للقرآنِ»[١٩٥].

٦- عن البراء رضي الله عنه قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقرأ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ في العشاءِ، وما سمعت أحدًا أحسَنَ صوتًا منه أو قراءةً»[١٩٦].

٧- وقال جُبير بن مطعِم رضي الله عنه: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقرأ في المغربِ بالطُّورِ، فلما بلغَ هذه الآيةَ

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ كاد قلبي أنْ يطير»[١٩٧]. وحُقَّ له ذلك رضي الله عنه وأرضاه وهو يستمعُ لهذه الآيةِ العظيمةِ مِنْ فَم أحسَنِ النَّاسِ صوتًا وقراءةً وخُشوعًا وتدبُّرًا وعملاً ﷺ.

٨- وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ مِنْ أَحسَنِ النَّاسِ صوتًا بالقرآنِ، الَّذي إذا سمعتُمُوه يقرأُ، حَسِبْتُمُوه يَخشى اللَّهَ»[١٩٨].

١- عن أبي عثمان النَّهدي قال: صلَّى بنا ابن مسعودٍ المغرِب بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ووالله لودِدْتُ أنَّه قرأَ بسورةِ البقرةِ مِنْ حُسنِ صوتِه وترتيلِه[١٩٩].

٢- وعن علقمة قال: كنت رجلاً قد أعطاني اللَّه حُسنَ الصَّوتِ بالقرآنِ، وكان ابن مسعودٍ يُرسلُ إليَّ فأقرأُ عليه، فإذا فَرَغت مِنْ قراءتِي قال: زِدْنَا -فِداكَ أبي وأمي- فإنِّي سمعت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إنَّ حُسنَ الصَّوتِ زينةُ القرآنِ»[٢٠٠].

٣- وعن أبي عبد الرَّحمن الحُبلي: أنَّ عُقبةَ كان مِنْ أحسَنِ النَّاسِ صوتًا بالقرآنِ، فقال له عمر: اعْرِض عليَّ، فقرأَ فبكى عمر رضي الله عنه[٢٠١].

٤- وقال ابن أبي مُسْجِعَة: «كان عمر يُقَدِّم الشَّابَ الحَسنَ الصَّوتَ لِحُسْنِ صَوْتِه بين يَدي القوم»[٢٠٢].

٥- وقال أبو عثمان النَّهدي: ما سمعت صوت صَنجٍ ولا بَرْبَطٍ ولا وَتَر[١] أحسَنَ مِنْ صوتِ أبي

---

(١) الصنج: آلة تتخذ من نحاس كالطبقين يضرب أحدهما بالآخر، والبربط: آلة تشبه العود فارسي معرب، والناي: المزمار. انظر فتح الباري (٩/ ٩٣).

موسى الأشعريَّ[٢٠٣].

٦- وسمع علقمةُ رجلاً يقرأُ قراءةً حسنةً فقال: «لقد رتَّل القرآن، فِداهُ أبي وأمي»[٢٠٤].

٧- قال زاذان: كنت غلامًا حَسنَ الصَّوتِ، جيِّدَ الضَّربِ بالطُّنبُورِ، فكنت مع صاحبٍ لي، وعندنا نبيذٌ وأنا أغنِّيهم، فمرَّ ابن مسعودٍ، فدخل فضربَ الباطِيةَ بدَّدَها وكسر الطُّنبُورَ، ثُمَّ قال: لو كان ما يُسمَعُ مِنْ حُسنِ صوتك يا غلامُ بالقرآنِ، كنت أنت أنت. ثُمَّ مضى، فقلت لأصحابي: مَنْ هذا؟ قالوا: هذا ابن مسعودٍ. فألقى في نفسي التَّوبةَ، فسعيتُ أبكي، وأخذتُ بثوبِه، فأقبل عليَّ، فاعتنقني، وبكى، وقال: مرحبًا بمَنْ أحبَّهُ اللَّه[٢٠٥].

٨- وعن سفيان قال: كان طَلق إذا قرأَ بكى وأبكى، وكان إذا قرأَ لم يسمعْهُ أحدٌ إلا بكى مِنْ رِقَّتِه وحُسنِ صوتِه، قال: وقالت له أمُّه: ما أحسنَ صوتَكَ يا بُنيَّ بالقرآنِ فليته لا يكون وبالاً عليك غدًا في القيامةِ. فبكى حتَّى غُشي عليه[٢٠٦].

٩- قال طاووس: أحسنُ النَّاسِ صوتًا بالقرآنِ أخشاهم للَّهِ[٢٠٧].

الرِّسالةُ الأولى: الصَّوتُ الحسنُ يَزيدُ القرآنَ عظمةً وجمالاً وحُسنًا

مِنْ تَعظيمِ قدرِ القرآنِ عند تلاوتِه أنْ تُحسِّنَ صوتَك بالقرآنِ، فقد «أجمع العلماء من الصَّحابةِ والتَّابعين فمَنْ بعدهم على استحبابِ تحسينِ الصَّوتِ بالقراءةِ، وأقوالُهم وأفعالُهم في هذا مشهورةٌ، والأحاديثُ الصَّحيحةُ عَنْ رسولِ اللَّه ﷺ مُستَفيضةٌ عند الخاصَّةِ والعامَّةِ»، لأنَّ تزيينَ القرآنِ بالصَّوتِ الحسنِ «والتَّطريب بقراءتِه أوقعُ في النُّفوسِ، وأدعى إلى الاستماعِ والإصغاءِ إليه، ففيه تنفيذٌ لِلَفْظِه إلى الأسماعِ، ومعانيه إلى القلوبِ، وذلك عونٌ على المقصودِ، وهو بمنزلةِ الحلاوةِ الَّتي تُجعَلَ في الدَّواءِ لتُنفذَهُ إلى موضِعِ الدَّاءِ»[٢٠٨]، فالنُّفوسُ كما يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «تميلُ إلى سماعِ القراءة بالتَّرنُّم أكثرَ مِنْ ميلِها لمن لا يترنَّم؛ لأنَّ للتَّطريبِ تأثيرًا في رِقَّةِ القلبِ، وإجراءِ الدَّمعِ»[٢٠٩]، و«القلوبُ تخشعُ بالصَّوتِ الحسنِ كما تخضعُ للوجهِ الحسنِ»[٢١٠].

ولذلك كان: «جماعاتٌ من السَّلفِ يطلبون مِنْ أصحابِ القراءةِ بالأصواتِ الحسنةِ أنْ يَقرؤُوا وهم يَستمعُون، وهذا مُتَّفقٌ على استحبابِه، وهو عادةُ الأخيارِ والمتعبِّدين وعبادُ اللَّه الصَّالحين، وهي سنَّةٌ ثابتةٌ عن رسول اللَّه ﷺ»[٢١١]، وهذه السُّنَّةُ الَّتي كان يفعلُها النَّبيُّ ﷺ والسَّلفُ مِنْ بعده هُجِرَت في أغلبِ الأحيانِ، فرَحِمَ اللَّهُ مَنْ أحياها، ودلَّ النَّاسَ عليها.

الرِّسالةُ الثَّانية: الصَّوتُ الحسنُ نعمةٌ، والنِّعم مِحن!

«ينبغي لمن رَزَقَهُ اللَّه حُسنَ الصَّوتِ بالقرآنِ أنْ يعلمَ أنَّ اللَّهَ - عزَّ وجلَّ - قد خصَّه بخيرٍ عظيمٍ، فليعرِف قدرَ ما خصَّه اللَّه به، وليقرأْهُ للَّهِ لا للمخلوقين؛ وليحذرْ من الميْلِ إلى أنْ يُستمَع منه ليحظى به عند السَّامعين، رغبةً في الدُّنيا والميْلِ إلى الثَّناءِ والجاهِ عند أبناءِ الدُّنيا والصِّلاتِ بالملوكِ دون الصِّلاتِ بعوامِّ النَّاسِ، فمن مالتْ نفسُه إلى ما نهيته عنه خِفتُ عليه أنْ يكونَ حُسْنُ صوتِه فتنةً عليه»[٢١٢]، «وإنَّما ينفعه حُسنُ صوتِه إذا خَشيَ اللَّه - عزَّ وجلَّ - في السِّرِّ والعلانيةِ،

وكان مُراده أنْ يُستمعَ منه القرآنُ لينتبه أهلُ الغفلةِ عن غفلتهم، فيرغبوا فيما رغَّبَهم اللَّه عزَّ وجلَّ، وينتهوا عما نهاهم عنه؛ فمَنْ كانت هذه صفتَه انتفعَ بحُسنِ صوته وانتفع به النَّاس»[٢١٣].

ولذلك كان بعض السَّلفِ يتمنَّون الصَّوتَ الحسنَ لِما يكون فيه من الخيرِ العظيم، قال شيخ الإسلام ابن تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان «عتبة الغلام» سأل ربَّه ثلاثَ خصالٍ: صوتًا حسنًا، ودمعًا غزيرًا، وطعامًا مِنْ غيرِ تكلُّفٍ، فكان إذا قرأ بكى وأبكى ودُموعُه جاريةٌ دَهْرَهُ، وكان يَأوِي إلى منزِلِه فيُصيبُ قوتَهُ ولا يدري مِنْ أين يأْتِيهِ»، وما ذلك إلا ليكون سببًا في تدبُّرِ القرآنِ بل والدَّعوةِ إليه والعملِ به، قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المطلوبُ شرعًا إنَّما هو التَّحسينُ بالصَّوتِ الباعثُ على تدبُّرِ القرآنِ وتفهُّمِه، والخشوعِ والخضوعِ، والانقيادِ للطَّاعةِ».

الرِّسالةُ الثَّالثةُ: ما يعين صاحبَ الصَّوتِ الحسنِ على الإخلاصِ

مَّما يُعينُك يا صاحبَ الصَّوتِ الحسنِ على عدمِ الاغترارِ بصوتِك أنْ تعلمَ أنَّ «العاقلَ لا يَغْتبطُ بصفةٍ

يَفُوقه فيها سَبُعٌ أو بهيمةٌ أو جمادٌ، وإنَّما يَغتبطُ بتقدُّمه في الفضيلةِ الَّتي أبانَه اللَّه -تعالى- بها عن السِّباعِ والبهائمِ والجماداتِ، وهي التَّمييز الَّذي يُشاركُ فيه الملائكةَ، فمَنْ سُرَّ: بشجاعتِه الَّتي يضعُها في غيرِ حقِّها للَّه عزَّ وجلَّ، فليعلم أنَّ النَّمِرَ أَجرأُ منه، وأنَّ الأسدَ والذِّئبَ والفيلَ أَشْجعُ منه، ومَنْ سُرَّ بقوةِ جسمِه، فليعلمْ أنَّ البغلَ والثَّورَ والفيلَ أقوى منه جِسْمًا، ومَنْ سُرَّ بحمْلِه الأثقالِ فليعلم أنَّ الحمارَ أحملُ منه، ومَنْ سُرَّ بسرعةِ عَدْوِه فليعلم أنَّ الكلبَ والأرنبَ أَسْرعُ عَدْوًا منه، ومَنْ سُرَّ بحُسنِ صوتِه فليعلم أنَّ كثيرًا من الطَّيرِ أحسنُ صوتًا منه، وأنَّ أصواتَ المزاميرِ ألذُّ وأطربُ مِنْ صوتِه، فأيُّ فخرٍ وأيُّ سُرورٍ فيما تكون فيه هذه البهائمُ متقدِّمةً له؟! لكنْ مَنْ قَوِيَ تمييزُه، واتَّسع علمُه، وحَسُنَ عملُه، فلْيَغْتبط بذلك، فإنَّه لا يتقدَّمه في هذه الوجوهِ إلا الملائكةُ وخيارُ النَّاسِ»[٢١٤].

ويلفِتُ العزُّ بن عبد السَّلام رَحِمَهُ اللَّهُ إلى علاجٍ آخرَ فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويقعُ الإعجابُ بأسبابٍ أُخَرَ غيرِ العلمِ والدِّينِ، فمِنْ ذلك إعجابُ المرءِ بحسنِ

صوتِه ناسيًا لإنعامِ اللَّه تعالى عليه بذلك، وقد يحمِلُه حُسن الصَّوتِ على الفجورِ والافتخارِ به على غيرِه وينفي[1] ذلك بنظرِهِ في بَدءِ خلقِه، وأنَّه خُلقَ مِنْ نُطفةٍ قذرةٍ، وفيما ينقلب إليه من الأقذارِ، وبما يصيرُ إليه في آخرِ أمره مِنْ سَيَلانِ صديدِه، وتبديلِ صورتِه ونتنِه وتغيُّرِ ريحِه، وفي تضييعِه ما وجبَ عليه مِنْ شُكرِ ربِه وفيما يتعرَّضُ له بتركِ الشُّكرِ مِنْ سخطِ اللَّه عزَّ وجلَّ ودخولِ النَّارِ المُغَيِّرةِ لشكلِه وحسنِ صورتِه»[٢١٥].

فالحاصلُ أنَّ الصَّوتَ الحسنَ نعمةٌ ومنَّةٌ من اللَّه تعالى، فالواجبُ جعلُه وسيلةً لتدبُّرِ القرآنِ والعملِ به، قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأصواتُ الحسنةُ نعمةٌ من اللَّه تعالى، وزيادةٌ في الخلقِ ومنَّةٌ، وأحقُّ ما لَبِست هذه الحُلَّةُ النَّفيسَةُ والموهِبَةُ الكريمَةُ كتابُ اللَّهِ، فنِعَمُ اللَّهِ إذا صُرِفَت في الطَّاعةِ فقد قُضِيَ بها حقُّ النِّعمةِ»[٢١٦].

---

(١) أي: يزيل هذا الإعجاب.

الرِّسالةُ الرَّابعة: تحريمُ قراءةِ القرآنِ بألحانِ أهلِ الفسقِ والغناءِ

هناك فرقٌ كبيرٌ بين تحسينِ الصَّوتِ عند قراءةِ القرآنِ، وبين قراءةِ القرآنِ بألحانِ أهلِ الفسقِ والغناءِ، فالأولُ مُجمَعٌ على استحبابِه والنَّدبِ إليه، والثَّاني بدعةٌ منهيٌ عنه على الرَّاجحِ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا حَسَّنَ الرَّجلُ صوتَه بالقرآنِ كما كان السَّلفُ يفعلونه - مثل أبي موسى الأشعري وغيره - فهذا حسنٌ، وأمَّا ما أُحدِثَ بعدهم مِنْ تكلُّفِ القراءةِ على ألحانِ الغناءِ فهذا يُنهى عنه عند جُمهورِ العلماءِ، لأنَّه بدعةٌ، ولأنَّ ذلك فيه تشبيهُ القرآنِ بالغناءِ، ولأنَّ ذلك يُورثُ أنْ يَبقى قلبُ القارئِ مصرُوفًا إلى وزنِ اللَّفظِ بميزانِ الغناءِ، لا يتدبَّرُه ولا يعقلُه، وأن يَبقى المستمعون إليه لأجلِ الصَّوتِ المُلحَّنِ، كما يُصغى إلى الغناءِ، لا لأجلِ استماعِ القرآنِ وفهمِه وتدبُّرِه والانتفاعِ به»[٢١٧].

وقد وصف القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حالَ بعضِ أهلِ زمانِه مَّمنْ ابتُلو بهذه الألحان فقال: «يقرؤون أمامَ الملوكِ والجنائزِ، ويأخذون على ذلك الأجورَ

والجوائزَ، ضلَّ سعيُهم، وخابَ عملُهم، فيستحلُّون بذلك تغييرَ كتاب اللَّه، ويُهَوِّنُون على أنفسهم الاجتراءَ على اللَّه، بأن يزيدوا في تنزِيلِه ما ليس فيه، جهلاً بدينِهم، ومُروقًا عن سنَّةِ نبيِّهم، ورفضًا لِسِيَرِ الصَّالحين فيه مِنْ سلفِهم، ونزوعًا إلى ما يُزيِّنُ لهم الشَّيطانُ مِنْ أعمالِهم، وهم يَحسبونَ أنَّهم يُحسِنون صُنعًا، فهم في غَيِّهم يترددون، وبكتابِ اللَّه يتلاعبون، فإنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون!، لكنْ أخبر الصَّادق أنَّ ذلك يكون، فكان كما أخبر ﷺ»[٢١٨].

ولم يقتصرْ الأمرُ على قُرَّاء ذلك الزَّمان، بل عمَّ الأمرُ معظمَ بلادِ الإسلامِ في هذا الزَّمانِ، فقد أصبحَ التَّلاعبُ بكتابِ اللَّه وآياتِه مشاهَدًا واضحًا، حتَّى إنَّك رُبَّما وجَدْتَ مَنْ يُصفِّقُ أو يُصفِّرُ أو يَصيحُ عند سماعِه لآيةٍ أو آياتٍ مِنْ كتاب اللَّه، لا لأجلِ القرآنِ وقوةُ تأثيرِه وجمالِه وعذوبةِ ألفاظِه ومعانيه، وإنَّما لما صَنَعَهُ القارئُ مِنْ غناءٍ وانتقالٍ بين مقاماتِ أهل الغناءِ، مع ذهولِ القارئِ والمُستمعِ عن معنى الآياتِ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أمَّا الأصواتُ بالنَّغماتِ المُحدَثَةِ المُركَّبةِ على الأوزانِ والأوضاعِ المُلهيَةِ، والقانونِ الموسيقائي، فالقرآنُ يُنَزَّهُ عن هذا ويُجلُّ ويُعظَّمُ أنْ يُسلَكَ في أدائِه هذا المذهب، وقد جاءت السُّنَّةُ بالزَّجرِ عن ذلك»[٢١٩].

بل زادَ الأمرُ سُوءًا حتَّى أصبحَ القرآنُ وآياتُه مَجلاً لتعلُّم المقاماتِ عند أهلِها، وتطبيقِ المقاماتِ عليها حالَ التَّعلُّم، وهكذا أصبحوا يتجرَّؤونَ على كتابِ اللَّه وعلى آياتِه بصفاقَةِ وجهٍ وجهلٍ عظيمٍ، فإنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون.

يا أهلَ القرآنِ... إنَّ الصَّوتَ الحسنَ يَزيدُ القرآنُ حُسنًا وجمالاً وبهاءً.

يا أهلَ القرآنِ... رُبَّما يُحجِمُ بعضُنا عن التَّغنِّي بالقرآنِ وتحسينِ الصَّوتِ به خشيةَ الرِّياءِ والسُّمعةِ، وهذا الشُّعورُ في حدِّ ذاتِه يُحمَدُ عليه الإنسانُ، لكنْ ينبغي أنْ يُعلَم أنَّك مَأمورٌ بتحسين الصَّوتِ قدرَ الاستطاعةِ مع الإخلاصِ، وليس ترك التَّحسين لأجل الإخلاص!

يا أهلَ القرآنِ... لو فتحنا بابَ ترك الأعمالِ مِنْ أجلِ الإخلاصِ، لتركنا كثيرًا من الأعمالِ الصَّالحةِ خشيةَ الرِّياءِ، واللَّهُ سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فالأمرُ مُعلَّقٌ بالنَّفعِ، ولذلك كان النَّبيُّ ﷺ يُظهرُ تعبُّدَه للَّه تعالى في كثيرٍ من المواطنِ ولم يكنْ يترك ذلك خشيةَ الرِّياءِ.

يا أهلَ القرآنِ... كما أنَّ الإخلاصَ واجبٌ في كلِّ الأعمالِ الشَّرعيَّةِ، فإنَّ أداءَ الأعمالِ يكونُ على

هدي النَّبيِّ ﷺ، ولا يجوزُ أنْ يَلغي شرطٌ الآخر، وقد أمَرَنا الشَّرعُ بتحسينِ الصَّوتِ عند تلاوةِ القرآنِ، فكان المُتعيَّنُ تحسينَ الصَّوتِ مع الإخلاصِ، وليس العكسِ.

يا أهلَ القرآنِ... هذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه صاحبُ رسولِ اللَّه ﷺ، وهو مِنْ أهلِ القرآنِ، انظر إلى فِقْهِهِ وفَهْمِه رضي الله عنه إذ يقول: «استَمَعَ رسولُ اللَّه ﷺ قراءتي من اللَّيلِ، فلمَّا أصبحتُ قال: «يا أبا موسى استمعت قراءَتك اللَّيلة! لقد أُوتِيتَ مِزمارًا مِنْ مزاميرِ آل داود «قلت: يا رسول اللَّه! لو علِمت مكانَك لحبَّرتُ لك تحبيرًا»[٢٢٠]، فمع أنَّ اللَّه سبحانه وتعالى قد رزَقَه الصَّوتَ الحسنَ، لكنَّه قال للنَّبيِّ ﷺ: «لو علِمت مكانَك لحبَّرتُ لك تحبيرًا»: أي لحسَّنَ صوتَهُ وزيَّنَهُ غايةَ التَّحسينِ، وحاشا أبا موسى أنْ يُرائِي أو يُسمِّع، وحاشا رسولَ اللَّهِ ﷺ أنْ يُقرَّ المُرائِي على رِيائِه، لكنَّهُ الفِقْه، فأبو موسى رضي الله عنه يَعلَمُ أنَّ تحسينَ الصَّوتِ مع الإخلاصِ عند تلاوةِ القرآنِ مِنْ أَجلِّ الأعمالِ الَّتي تَزيدُ القرآنَ حُسنًا وجمالاً ولذلك تَمنَّى ذلك.

يا أهلَ القرآنِ. . . إنَّ تحسينَ الصَّوتِ بالقرآنِ إنَّما هو مِنْ تعظيمِ القرآنِ العظيمِ، فقد جَرَت العادةُ أنَّ مَنْ عَظَّمَ شيئًا اعتنى به، وتحسينُ الصَّوتِ بالقرآنِ مِنْ هذا البابِ.

يا أهلَ القرآنِ. . . إنَّ تزيينَ الصَّوتِ بالقرآنِ يُضفي على القرآنِ جمالاً وروعةً، فيُخالطُ القلوبَ، فتدمعُ العيونَ، وتفقهُ عن اللَّه، إنَّه كالمُبلِّغِ وكالرَّسولِ الَّذي يُوصِلُ الرِّسالةَ إلى المُرسَلِ إليه، ولذلك نَدَبَ الشَّرعُ إلى تحسينِ الصَّوتِ.

فيا أهلَ القرآنِ. . . اللَّهَ اللَّهَ بالإخلاصِ مع تحسينِ الصَّوتِ بالقرآنِ كي يصلَ القرآنُ إلى القلوبِ والعقولِ والجوارحِ، فتكونوا شركاءَ في الأجرِ والمثوبةِ عند اللَّه تعالى.

❊ ❊ ❊

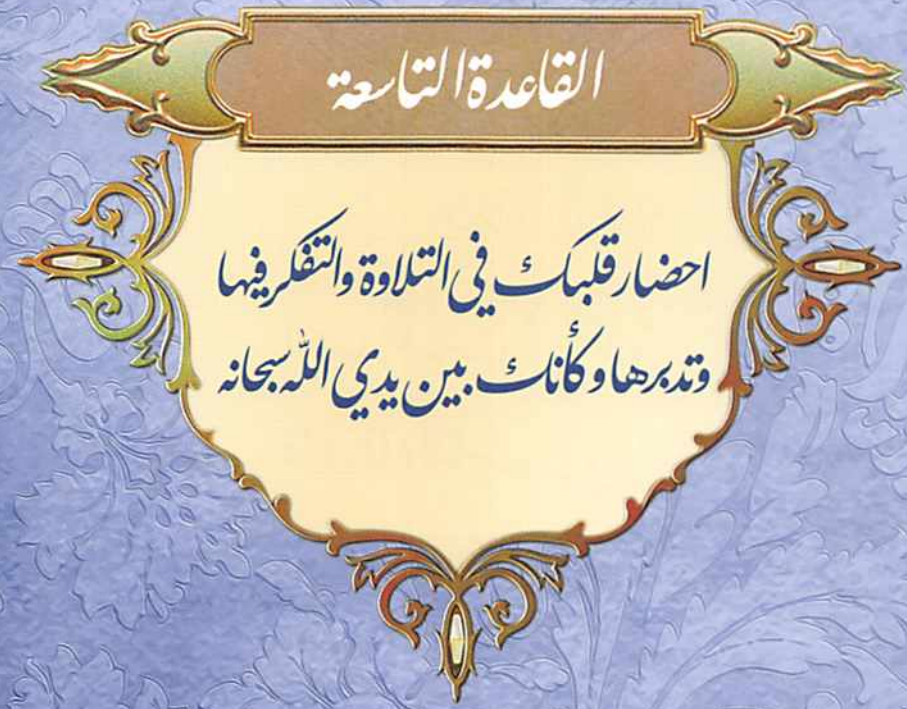
القاعدة التاسعة
احضار قلبك في التلاوة والتفكر فيها
وتدبرها وكأنك بين يدي الله سبحانه

احضار قلبك في التلاوة والتفكر فيها
وتدبرها وكأنك بين يدي الله سبحانه

المعنى الإجمالي

إن إقبالك على قراءة القرآن بحضور قلب وخضوع وخشوع دليل على تعظيمك للقرآن العظيم وتقديسه، بل وعلى تعظيم الله وحبه، لأن من امتلأ قلبُه معرفة بالله وتعظيما له، عظَّم كلامه، وتمعَّنَ فيه، وأصغى إليه متأملاً متدبراً، ومن تدبر كلام الله فاز بكنوزه وظفر ببركاته العظيمة.

التأصيل الشرعي

١- قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾، وتدبُّرُ القرآنُ يكونُ: بالوقوفِ مع الآياتِ والتَّأملِ فيها، والتَّفاعل معها؛ للانتفاعِ والامتثالِ.

٢- قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾.

٣- وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟[1] ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّ اللَّه سبحانه إنَّما أنزَلَ القرآنَ للتَّدبرِ والتَّفكرِ في معانيه، لا لمجرد التِّلاوةِ بدون تدبُّر(٢٢١).

٤- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قام رسولُ اللَّه بِنا ليلةً فقام بآيةٍ يُردِّدُها وهي قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٢٢٢). فهذا التَّرديدُ تدبُّرٌ للآيةِ الكريمةِ وتأمُّلٌ فيها في مَشْهدِها العظيم.

---

(١) وفي قراءة أبي جعفر المدني المتواترة «لتدبروا آياته» بالتاء.

٥- وعن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا رسولَ اللَّه، قد شِبْتَ»! قال رسولُ اللَّه ﷺ: «شَيَّبَتْنِي «هودٌ»، و«الواقعةُ»، و«المرسلاتُ»، و«عمَّ يتساءلون»، و«إذا الشَّمسُ كوِّرت»»[٢٢٣]. وما هذا الشَّيبُ إلا لتدبُّرِه وتفكُّرِه ﷺ بهذه السُّورِ العظيمةِ.

١- قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه : «لا تهذُّوا القرآنَ كهذِّ الشِّعرِ، ولا تَنثُرُوه نَثْرَ الدَّقَلِ، وقِفُوا عند عجائِبِه، وحرِّكوا به القلوبَ»(٢٢٤).

٢- وقال علي رضي الله عنه : «لا خيرَ في عبادةٍ لا عِلمَ فيها، ولا علمٍ لا فِقهَ فيه، ولا قراءةٍ لا تدبُّرَ فيها»(٢٢٥).

٣- وقال وهيب بن الورد: «نظرْنَا في هذه الأحاديثِ والمواعظِ فلم نَجدْ شيئًا أرقَّ للقلوبِ ولا أشدَّ استجلابًا للحُزنِ مِنْ قراءةِ القرآنِ وتفهُّمِه وتدبُّرِه»(٢٢٦).

٤- وقال محمَّدُ بن كعب رحمه الله : «لأنْ أقرأَ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و﴿الْقَارِعَةُ﴾ لَيْلَةً أُرَدِّدُهُمَا وأتَفكَّرُ فيهما أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أبيتَ أهذُّ القرآنَ»(٢٢٧).

٥- وقال الحسنُ البصريُّ رحمه الله : «يا ابنَ آدم كيف يرقُّ قلبُك، وإنَّما هِمَّتُكَ فِي آخِرِ سُورَتِكَ»(٢٢٨).

٦- وقال رحمه الله : «إنَّ مَنْ كان قبلكُم رأوهُ

رسائلَ مِنْ ربِّهم، فكانوا يَتدبَّرونَها باللَّيلِ ويُنفِّذُونَها بالنَّهارِ»[٢٢٩].

٧- قِيل لبعضِ السَّلفِ: «إذا قرأت القرآنَ تُحدِّثُ نفسكَ بشيءٍ؟ فقال: أوَشيءٌ أحبُّ إليَّ من القرآنِ حتَّى أُحدِّثَ به نفسي!»[٢٣٠].

٨- وقال بعضهم: «إنِّي لأفتَتِحُ السُّورةَ، فيُوقِفُني بعضُ ما أشهدُ فيها عن الفراغِ منها حتَّى يَطلعَ الفَجرُ»[٢٣١].

٩- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو علِمَ النَّاسُ ما في قراءةِ القرآنِ بالتَّدبُّرِ لاشتَغلوا بها عن كلِّ ما سِواهَا»[٢٣٢].

١٠- قال العلَّامةُ السَّعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهلَّا يَتدبَّرُ هؤلاء المُعْرِضون القرآنَ كتابَ اللَّه، ويتأمَّلونه حقَّ التَّأمُّلِ! فإنَّهم لو تدبَّروه، لَدلَّهم على كلِّ خيرٍ، ولحذَّرهم مِنْ كلِّ شرٍّ، ولملأَ قلوبَهم من الإيمانِ، وأفئدتَهم من الإيقانِ، ولأوصَلَهم إلى المطالبِ العاليةِ، والمواهبِ الغاليةِ، ولَبيَّن لهم الطَّريقَ الموصِّلةَ إلى اللَّه، وإلى جنَّتِه ومُكمِّلاتها، ومُفْسِداتها، والطَّريقَ الموصِّلةَ إلى

العذابِ وبأيِّ شيءٍ تُحْذَر، ولعرَّفهم بربِّهم، وأسمائِه وصفاتِه وإحسانِه، ولشوَّقَهم إلى الثَّوابِ الجزيلِ، ورهَّبَهم من العقابِ الوبيلِ»[٢٣٣].

الرِّسالةُ الأولى: الارتقاءُ إلى مقامِ الإحسانِ[٢٣٤] عند تلاوةِ القرآنِ

حاولْ - يا رعاكَ اللَّه -أنْ تُحضرَ قلبَكَ وسمعَكَ بِذُلٍ وخشوعٍ وخضوعٍ عند تلاوةِ القرآنِ وكأنَّك تقرأ بين يدي اللَّه عزَّ وجلَّ وأنت تراهُ سبحانه، فإنْ لم تكنْ تراهُ فهو يراكَ.

إنَّ مقامَ الإحسانِ في تلاوةِ القرآنِ مقامٌ عظيمٌ لمنْ أرادَ أنْ يتدبَّرَ القرآنَ وينتفعُ به، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قاعدةٌ جليلةٌ: إذا أردت الانتفاعَ بالقرآنِ فاجمعْ قلبَك عند تلاوتِه وسماعِه، وألقِ سمعَكَ، واحضر حُضورَ مَنْ يُخاطِبه به مَنْ تكلَّم به سبحانه مِنه إليه، فإنَّه خطابٌ منه لك»[٢٣٥]، قال سَلم الخوَّاص: «قلتُ لنفسي: اقرئي القرآنَ كأنَّك سمعتِيه من اللَّهِ حين تكلَّم به؛ فجاءت الحلاوةُ»[٢٣٦]، وقال جعفر الصَّادق رَحِمَهُ اللَّهُ: «لقد تجلَّى اللَّهُ عزَّ وجلَّ لخلقِه في كلامِه ولكنْ لا يُبصِرُون»[٢٣٧].

الرِّسالةُ الثَّانيةُ: تَفريغُ النَّفسِ مِنْ شواغِلِها عند تلاوةِ القرآنِ

اعلم أنَّ تفريغَ النَّفسِ مِنْ شواغِلِها، وقضاءَ حاجاتِها، وتلبيةَ طلباتِها قبل الإقبالِ على القراءةِ من الأمورِ الَّتي تُعينك على تدبُّرِ القرآنِ وتعظيمِه، وذلك لأنَّ الحاجاتِ تَبقى تُلحُّ على النَّفسِ وتُخايِلُ لها، وبذلك تَحجِبُ القلبَ عن التَّدبُّرِ والوعي والتَّلقي.

ولذلك لا بُدَّ مِنْ حصرِ الفكرِ أثناءَ التِّلاوةِ وجعْلِهِ مع القرآنِ فقط، وقصرِ الخيالِ على الآياتِ، ومنعِهِ من الشُّرودِ والتَّجوالِ مع مظاهرِ الحياةِ وظواهرِها، وتوظيفِ كلِّ نوافذِ المعرفةِ ووسائلِ التَّدبُّرِ وعواملِ التَّلقي في النَّفسِ والمشاعرِ والأحاسيسِ والفكرِ والخواطرِ والخيالِ... توظيفُها للقرآنِ فقط، فإذا ما فعل القارئُ هذا فإنَّه سيخرجُ بزادٍ عظيم من التَّلاوةِ، وسيُحصِّلُ نتائجَ باهرةً وثمارًا يانِعةً[٢٣٨].

الرِّسالةُ الثَّالثةُ: تركُ تدبُّرِ القرآنِ سببُ كلِّ بَلِيَّةٍ

يُوضِّحُ ذلك ما رواه ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذ يقولُ: قَدِمَ على عمر رجلٌ، فجعل عمر يسأله عن النَّاسِ، فقال: يا أميرَ المؤمنين قد قرأَ القرآنَ

منهم كذا وكذا، فقُلتُ: واللَّه ما أَحبُّ أنْ يُسارعوا يومَهُم هذا في القرآنِ هذه المُسارعَة، قال: فزَبَرَني عمر، ثُمَّ قال: مَهْ، فانطلقتُ إلى منزِلي مكتئِبًا حزينًا... فاضطجعتُ على فراشِي، حتَّى عَادَنَي نِسوةُ أهلي وما بِي وجعٌ، فَبَيْنَا أنا على ذلك، قِيلَ لِي: أَجِب أميرَ المؤمنين، فخرجتُ، فإذا هو قائمٌ على البابِ ينتظِرُني، فأخذ بيدي، ثُمَّ خَلا بِي فقال: ما الَّذي كَرِهتَ مما قال الرَّجلُ آنِفًا؟ قلتُ: يا أميرَ المؤمنين! إنْ كنتُ أسأتُ فإنِّي أستغفرُ اللَّهَ وأتوبُ إليه، وأنزلُ حيثُ أحببتُ، قال: لِتُخْبِرْني، قلتُ: مَتى ما يُسارِعوا هذه المُسارعةَ يحتَقُّوا[٢٣٩]، ومَتى ما يحتَقُّوا يختَصِموا، ومَتى ما اخْتصَموا يَخْتلِفوا، ومَتى ما يَخْتلِفوا يقتَتِلوا، قال: للَّهِ أبُوكَ، لقد كنتُ أكتمها النَّاسَ حتَّى جِئتَ بها»[٢٤٠]. وقد وقعَ ما خَشِيَ منه عمرُ وابنُ عبَّاسٍ ﷺ، فخرجت الخوارجُ الَّذين يقرؤون القرآنَ؛ لكنَّه لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُم كما قال النبي ﷺ: «يخرُج فيكم قومٌ تحقِرون صلاتَكم مَع صلاتهم، وصِيامَكم معَ صِيامهم، وعمَلَكم مع عَملِهم، يقرؤونَ القرآنَ لا يجاوز

حَناجِرَهم، يمرُقون من الدّين كما يمرُق السّهمُ من الرميّة»[٢٤١].

الرِّسالةُ الرَّابعةُ: بركاتُ تدبُّرِ القرآنِ

يقولُ ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام له نَفِيسٍ جدًا يُكتبُ بماءِ الذَّهبِ ما مُجْمَلُهُ: «لَيس شيءٌ أنفعَ للعبدِ في معاشِه ومعادِه مِنْ تدبُّرِ القرآنِ وجمعِ الفكرِ على معاني آياتِه؛ فإنَّها:

تُطْلِعُ العبدَ على معالمِ الخيرِ والشَّرِّ.

وَتَتُلُّ في يدِهِ مفاتيحَ كُنوزِ السَّعادةِ والعلومِ النَّافعةِ.

وتُثَبِّتُ قواعدَ الإيمانِ في قلبِه، وتُشَيِّدُ بُنيانَه وتُوطِّدُ أركانَه.

وتُرِيهِ صورةَ الدُّنيا والآخرةِ والجنَّةِ والنَّارِ في قلبِه.

وتُحضِرُهُ بين الأمَمِ، وتُرِيهِ أيَّامَ اللَّهِ فيهم، وتُبَصِّرُهُ مَوَاقِعَ العِبَرِ.

وتُشهِدُهُ عَدلَ اللَّهِ وفَضلَه، وتُعَرِّفُهُ ذاتَهُ وأسماءَهُ وصفاتِهُ وأفعالَهُ، وما يُحِبُّهُ وما يُبغِضُهُ، وصرَاطَهُ المُوصِلَ إليهِ، وما لسَالِكِهِ بعدَ الوُصُولِ والقُدومِ عليه.

[وتُبيِّنُ له] قواطعَ الطَّريقِ وآفاتِها.

وتُعرِّفُهُ النَّفسَ وصفاتِهَا، ومُفسِدَاتِ الأعمالِ ومُصَحِّحَاتِها.

وتُعرِّفُهُ طريقَ أهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ وأعمالِهُم، وأحوالِهُم، وسِيمَاهُم.

ومراتبَ أهلِ السَّعادةِ وأهلِ الشَّقاوةِ.

وتُشهِدُهُ الآخرةَ حتَّى كأنَّه فيها.

وتُغَيِّبُهُ عن الدُّنيا حتَّى كأنَّه ليس فيها.

وتُميِّزُ له بين الحقِّ والباطلِ في كلِّ ما يختلفُ فيه العالم.

وتُعطِيه فُرقانًا ونورًا يُفرِّقُ به بين الهُدى والضَّلالِ.

وتُعطِيه قُوةً في قلبِه وحياةً واسعةً وانشراحًا وبهجةً وسرورًا، فيَصِيرُ في شأنٍ والنَّاسُ في شأنٍ آخرٍ.

فلا تزالُ معانِيه تُنهِضُ العبدَ إلى ربِّه بالوعدِ الجميلِ، وتُحذِّرُهُ وتُخوِّفُهُ بوعِيدِه من العذابِ الوَبِيلِ.

وتَهدِيهِ في ظُلَمِ الآرَاءِ والمذَاهِبِ إلى سواءِ السَّبيلِ.

وتَصُدُّهُ عن اقتحامِ طُرُقِ البدَعِ والأضاليلِ.

وتُبصِّرُهُ بحدودِ الحلالِ والحرامِ وتُوقِّفُهُ عليها؛ لئَلَّا يَتعدَّاها فيقعَ في العَنَاءِ الطَّويلِ.

وتُنَادِيهِ كُلَّمَا فَتَرَت عَزَمَاتُهُ: تَقَدَّمَ الرَّكبُ، وفَاتَكَ الدَّلِيلُ، فاللِّحاقَ اللِّحاقَ، والرَّحِيلَ الرَّحِيلَ.

وكُلَّمَا خَرجَ عليه كمينٌ مِنْ كمائِنِ العَدوِّ أو قاطعٌ مِنْ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ نادتْهُ: الحَذَرَ الحَذَرَ! فاعْتَصِمْ باللَّهِ واستعنْ بِه، وقُلْ: حَسبيَ اللَّهُ ونِعمَ الوكِيلُ». ثُمَّ ختَمَ كلامَه قائلًا: «وفي تأمُّلِ القرآنِ وتَدبُّرِهِ، وتَفهُّمِهِ، أضعافُ أضعافُ ما ذكَرْنَا من الحكمِ والفوائدِ، وبالجملةِ: فهو أعظمُ الكنوزِ، طَلْسَمُهُ[1]: الغوصُ بالفكرِ إلى قرارِ معانِيه»[٢٤٢].

الرِّسالةُ الخامِسةُ: تَكْرَارُ الآياتِ مِنْ مفاتحِ تدبُّرِ القرآنِ

قال شيخ الإسلام ابن تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإنسانُ

---

(١) طلسمه: أي سره المكتوم، والمعنى من أراد أن يصل إلى سر بركات القرآن سالفة الذكر فعليه بتدبر القرآن.

يقرأَ السُّورةَ مراتٍ حتَّى سورةَ الفاتحةِ، ويَظْهرُ له في أثناءِ الحالِ مِنْ معانِيهَا ما لم يكنْ خطرَ له قبلَ ذلك، حتَّى كأنَّها تلك السَّاعة نزلَتْ، فيؤْمِنُ بتلك المعاني، ويزدَادُ عِلمُهُ وعَملُهُ، وهذا موجودٌ في كلِّ مَنْ قرأَ القرآنَ بتدبُّرٍ، بخلافِ مَنْ قرأهُ مع الغفلَةِ عنه»[٢٤٣]، ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا شيءَ أنفع للقلبِ مِنْ قراءةِ القرآنِ بالتَّدبُّرِ، فإذا قرأهُ بتفكُّرٍ حتَّى إذا مرَّ بآيةٍ وهو مُحتاجٌ إليها في شفاءِ قلبِه كرَّرَها ولو مائةَ مرَّة، ولو لَيلَة، فقراءةُ آيةٍ بتفكُّرٍ وتَفهُّم خيرٌ مِنْ قراءةِ ختمةٍ بغيرِ تَدبُّرٍ وتَفهُّم، وأنفعُ للقلبِ، وأدعى إلى حُصولِ الإيمانِ وذَوقِ حلاوةِ القرآنِ»[٢٤٤].

وقد كان السَّلفُ كثيري التَّرديد للآياتِ:

فقد رَدَّدَ ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

ورَدَّدَ سَعِيد بن جُبَير: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

ورَدَّدَ أيضًا: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ لَا إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾.

ورَدَّدَ أيضًا: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.

وكان الضَّحَّاكُ إذا تَلا قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ رَدَّدَها إلى السَّحَر(٢٤٥).

وعن معمر مؤذن التَّيمي قال: «صَلَّى إلى جَنبي سُليمان التَّيمي بعدَ العشاءِ الآخِرَةِ، وسمعتُهُ يقرأُ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، قال: فلمَّا أتى على هذه الآيةِ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك: ٢٧] جَعَلَ يُرَدِّدُها حتَّى خفَّ أهلُ المسجدِ فانصرفوا، قال: فخرجتُ وتركتُهُ، قال: وغدوتُ لأذانِ الفجرِ فنظرتُ فإذا هو في مقامِه، قال: فسمعت فإذا هو فيها لم يَجُزْها، وهو يقول: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾(٢٤٦). والآثارُ عن السَّلفِ في هذا البابِ كثيرةٌ لا تُحصَر.

إلى أهل القرآن وخاصته

يا أهلَ القرآنِ... أنتم أحقُّ النَّاسِ بتذوقِ القرآنِ، فأنتم أهلُ القرآنِ، وأنتم أهلُ اللَّهِ، فتدبَّرُوا القرآنَ حقَّ تدبُّرِهِ.

يا أهلَ القرآنِ... لقد أنزلَ اللَّهُ سبحانه وتعالى القرآنَ لِتدبُّرِهِ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، فتدبَّرُوه.

يا أهلَ القرآنِ... اقرؤُوا القرآنَ على مَهَلٍ، رتِّلُوهُ تَرتِيلاً، حَسِّنُوا أصواتَكُم وحبِّرُوه تحبيرًا، قِفُوا عند عجائِبِه، حَرِكُوا به قُلوبَكُم، أجْرُوا به دُموعَكُم على خُدُودِكُم، فهكذا كان نبيُّكُم ﷺ يفعلُ في كلِّ ليلةٍ.

يا أهلَ القرآنِ... ماذا صنعَ القرآنُ بقلوبِكُم؟ ماذا صنعَ بأعمالِكُم؟ ماذا صنعَ بحياتِكُم؟ قِيلَ لعيسى بن وردان: ما غايةُ شَهوَتِكَ من الدُّنيا؟ فبَكى، ثُمَّ قال: «أشتَهي أنْ يَنفَرِجَ لي عن صَدرِي، فأنْظرَ إلى قلبِي، ماذا صنعَ القرآنُ فيه وما نَكَأ». هكذا كان أهلُ القرآنِ يعتنون بالتَّفتِيشِ عن أثرِ القرآنِ في قلوبِهم وحياتِهم.

يا أهلَ القرآنِ. . . لقد ذَمَّ اللَّهُ الَّذينَ لا يَتدبَّرُون كلامَه ومثَّلَهُم بأقبحِ الأمثلةِ وأبشَعِها فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فلا تكونوا مثلَهُم، قال الطَّرطُوشيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ «فدَخلَ في عمومِ هذا مَنْ يَحفظُ القرآنَ مِنْ أهلِ مِلَّتِنا ثُمَّ لا يَفهَمُهُ، ولا يَعمَلُ بما فيه»(٢٤٧).

يا أهلَ القرآنِ. . . علِّمُوا طُلابَكُم وأبنَاءَكُم أنَّ الغايةَ العُظمَى مِنْ نُزولِ القرآنِ إنَّما هي تَدبُّرُهُ والعملُ به.

* * *

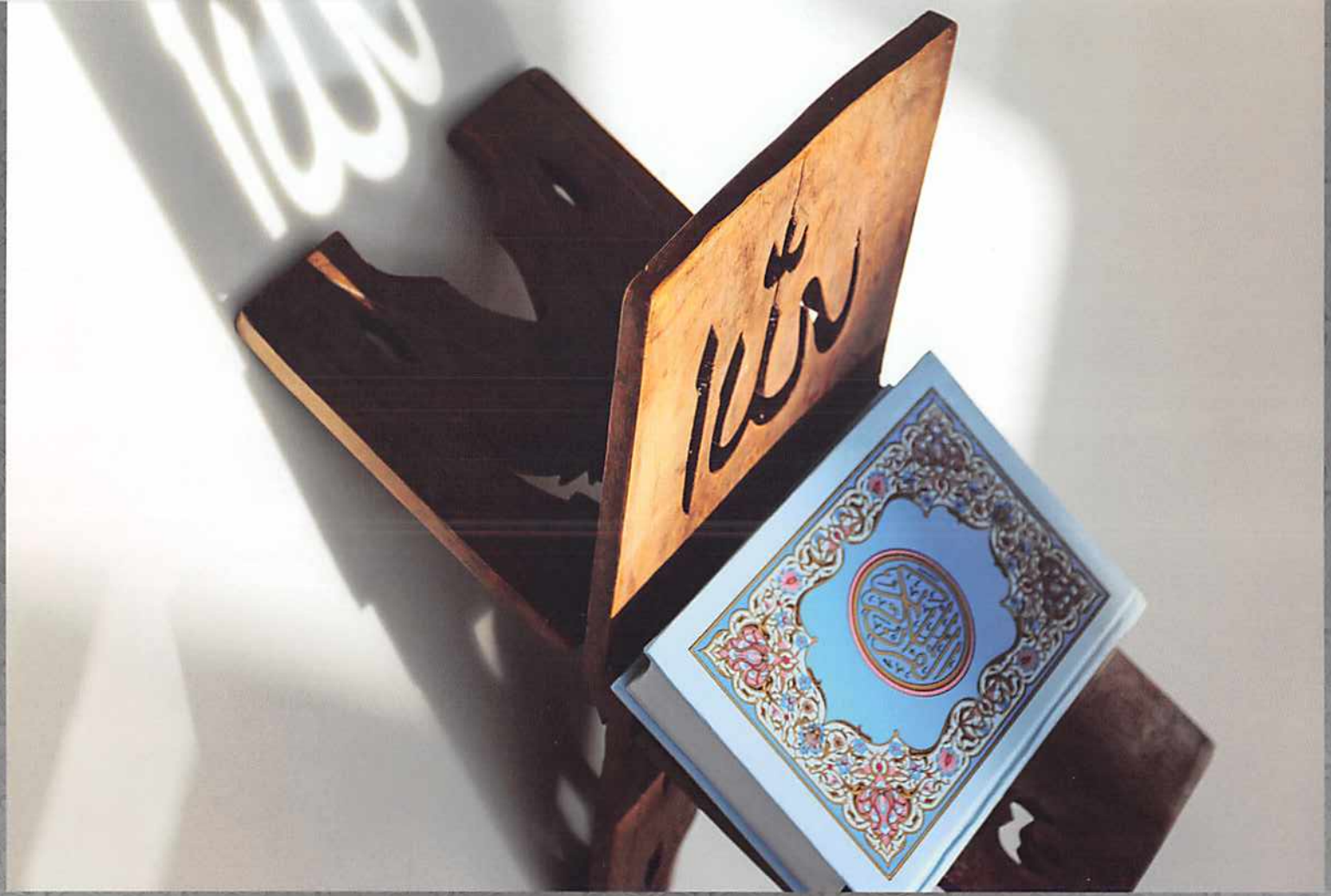

القاعدة العاشرة

التفاعل مع الآيات والتجاوب معها فأنت المخاطب بها

التفاعل مع الآيات والتجاوب معها فأنت المخاطب بها

المعنى الإجمالي

إن من تعظيم قدر القرآن العظيم عند تلاوته وقرآته شعورك أنك أنت المخاطب بالآيات، وأن التوجيهات والتكليفات الموجودة في الآية إنما وجهت لك أنت، نعم أنت بذاتك وليس غيرك، عندها ستتفاعل بكل أركانك وحواسك مع القرآن بطريقة جديدة فريدة، فتأتمر بأمرها، وتنتهي عن نهيها، وكأنك قرآن تمشي على الأرض.

١- قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾.

٢- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾. فأثنى اللَّهُ تعالى على الَّذين تدمعُ عُيونُهم عند سماعِ القرآنِ.

٣- وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾، فتأمَّلْ كيف شَرَعَ اللَّهُ السُّجودَ عند هذه الآياتِ وكأنَّه تفاعُلٌ منك بحضورِ المشهَدِ ودخولِك مع المَوصُوفين، وهو مِنْ التَّفاعلِ الدَّالِ على التَّدبُّرِ لأنَّه امتثالٌ واقتداءٌ.

٤- عن حُذيفة رضي الله عنه قال: «صليتُ مع النَّبيِّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فافتَتَحَ البقرةَ، فقلتُ يَرْكعُ عند المائةِ ثُمَّ مضى، فقلتُ يُصلِّي بها في ركعةٍ فمضى، فقلتُ يَرْكعُ بها ثُمَّ افتَتَحَ النِّساءَ فقرَأَها، ثُمَّ افتَتَحَ آلَ عمرانَ فقرَأَها، يقرأُ مُتَرَسِّلًا، إذا مَرَّ بآيةٍ فيها

تسبيحٌ سبَّحَ، وإذا مَرَّ بسؤالٍ سألَ، وإذا مَرَّ بتعوُّذٍ تعوَّذَ»[٢٤٨]، وما هذا التَّسبيحُ والتَّعوُّذُ وسؤالُ الرَّحمةِ إلَّا نوعًا من التَّفاعلِ مع الآياتِ النَّاتجِ عن مُخاطبةِ الآياتِ للنَّفسِ.

٥- وعن مسلم بن مخراق قال: ذُكِرَ لعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لها أنَّ ناسًا يقرؤون القرآنَ في اللَّيلةِ مرَّةً أو مرَّتَين، فقالت: «أولئك قَرَؤُوا ولم يَقرَؤُا! كُنتُ أقومُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ليلةَ التَّمامِ، فكان يقرأُ سورةَ البقرةِ وآلَ عمرانَ والنِّساءِ، فلا يَمُرُّ بآيةٍ فيها تَخوُّفٌ إلَّا دَعَا اللَّهَ عزَّ وجلَّ واستعاذَ، ولا يَمُرُّ بآيةٍ فيها استِبْشَارٌ إلَّا دَعَا اللَّهَ عزَّ وجلَّ ورَغِبَ إليهِ»[٢٤٩].

٦- وقال عوفُ بن مالكٍ الأشجَعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُمتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ليلةً فقامَ فقرأَ سورةَ البقرةِ، لا يَمُرُّ بآيةِ رحمةٍ إلَّا وقفَ فسألَ، ولا يَمُرُّ بآيةِ عذابٍ إلَّا وقفَ وتعوَّذَ»[٢٥٠].

٧- عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا قَرَأَ ابنُ آدمَ السَّجدَةَ فسَجَدَ اعتَزَلَ الشَّيطانُ يبكِي، يقولُ: يا وَيْلَهُ - وفي روايةٍ: يا وَيْلِي-، أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسُّجودِ فسَجَدَ فلَهُ الجنَّةُ،

وأَمِرْتُ بالسُّجودِ فأَبِيتُ فلِي النَّارُ»[٢٥١].

٨- في الصَّحيحين، حديثُ قراءةِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه على النَّبيِّ ﷺ، وفيه: «فإذا عيناهُ تَذْرِفَانِ»[٢٥٢].

٩- وروى عبد اللَّه بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: أَتَيتُ النَّبيَّ ﷺ وهو يُصلِّي، ولجوفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرجَلِ - يعني يبكي»[٢٥٣]، وفي روايةٍ أخرى: «وفي صدرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحى مِن البُكاءِ»[٢٥٤].

١- عن عبد اللَّه بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إذا سمعت اللَّه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فَأرْعِهَا سمعَكَ؛ فإنَّه خَيرٌ يَأمُرُ به، أو شَرٌّ يَنهى عنه»[٢٥٥]، إنَّه الشُّعورُ بمخاطبةِ الآياتِ للنَّفْسِ.

٢- وقال عباد بن حمزة: «دخلت على أسماءَ وهي تقرأُ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾، قال: فوقَفَتْ عليها، فجَعَلتْ تَستَعِيذُ وتَدعُو، فذهبتُ إلى السُّوقِ، فَقَضيت حاجَتِي، ثُمَّ رَجَعتُ وهي فيها بعدُ تَستَعيذُ وتُدعُو»[٢٥٦].

٣- قال الحسين بن علي الكرابيسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِتُّ مع الشَّافعيِّ غيرَ ليلةٍ، فكان يُصلِّي نحو ثُلُث اللَّيلِ، فما رأيتُه يزيدُ على خمسين آيةٍ، فإذا أكثرَ فمائة، وكان لا يمُرُّ بآيةِ رحمةٍ إلا سألَ اللَّهَ لنفسِهِ وللمؤمنين أجمعين، ولا يمُرُّ بآيةِ عذابٍ إلا تَعوَّذَ منها وسألَ النَّجاةَ لنفسِهِ ولجميعِ المسلمين، قال: فكأنَّما جُمِعَ له الرَّجاءُ والرَّهبةُ جميعًا»[٢٥٧].

٤- عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «إنَّ الشَّيطانَ إذا رأى ابنَ آدمَ ساجدًا صَاحَ ورَنَّ، وقال: لهُ الويلُ، أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسُّجودِ فأطاعَ، فلَهُ الجنَّةُ، وأُمِرتُ بالسُّجودِ فعَصَيتُ، فَلِيَ النَّارُ»(٢٥٨).

٥- وعن ابن سيرين قال: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها عن سُجودِ القرآنِ فقالتْ: «حقٌّ للَّهِ تُؤَدُّونَه أو تَطوُّعٌ تَطَوَّعُونَهُ، وما مِنْ مُسلمٍ يَسجُدُ للَّهِ سجدةً إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بها درجةً، أو حطَّ بها عنه خطيئةً، أو جَمعَهُما له كِلَيْهِما»(٢٥٩).

٦- قال عبد اللَّه بن شداد: «سمعت نَشِيجَ عمر، وأنا في آخرِ الصُّفوفِ، يقرأُ ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾»(٢٦٠).

٧- وقال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: «واللَّهِ يا ابن آدم، لئن قرأتَ القرآنَ ثُمَّ آمنت به، لَيَطُولنَّ في الدُّنيا حُزنُك، ولَيشْتدَّنَّ في الدُّنيا خَوفُك، ولَيَكْثُرنَّ في الدُّنيا بُكاؤُك»(٢٦١).

٨- عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «كان أبو بكرٍ رجلاً بَكَّاءً لا يَملِك عَينَيهِ إذا قرأَ القرآنَ»(٢٦٢).

٩- وعن الحسن قال: «كان عمر بن

الخطابِ رضي الله عنه يَمُرَّ بالآيةِ مِنْ وِردِهِ فتَخْنُقُه العَبرَةُ فيبكي حتَّى يَسقُطَ، ثُمَّ يلزمُ بيته حتَّى يُعادَ يَحسَبُونَه مَريضًا»[٢٦٣].

١٠- وعن ابن أبي مُليكةَ قال: «صَحِبتُ ابنَ عبَّاسٍ مِنْ مكَّةَ إلى المدينةِ، فكان يُصلِّي ركعتين، فإذا نزلَ قام شَطرَ اللَّيلِ ويُرتِّلُ القرآنَ حرفًا حرفًا، ويُكثِرُ في ذلك من النَّشيجِ والنَّحيبِ»[٢٦٤].

١١- قالت أسماء بنت أبي بكرٍ: «ما كان أحدٌ من السَّلفِ يُغشى عليه، ولا يُصعَقُ عند قراءةِ القرآنِ، وإنَّما يَبكُون ويَقشَعِرُّون، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهم وقُلُوبُهم لِذكرِ اللَّهِ»[٢٦٥].

١٢- قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «إذا قرأتُم سجدةَ سبحان فلا تَعجَلُوا بالسُّجودِ حتَّى تبكُوا فإنْ لم تَبكِ عينُ أحدِكُم فَلْيَبْكِ قلبُه»[٢٦٦].

الرِّسالةُ الأولى: أنتَ المُخاطبُ بالقرآنِ!

لا بُدَّ أنْ تأخذَ القرآنَ على أنَّه مُوجَّهٌ لكَ أنتَ، وأنَّ الخطابَ يَعنِيكَ أنتَ، إنَّك مُطالبٌ أنْ تَنظُرَ إلى القرآنِ بهذا المِنظَارِ، وأنْ تتعامَلَ معه على هذا الأساسِ، وأنْ تفتحَ كُنُوزَهُ بهذا المفتاح، ولو أنَّ كلَّ قارئٍ فعل هذا فسوفَ يَخرجُ مِنْ تلاوةِ القرآنِ بزادٍ عظيم، من الإيمانِ والالتزام والتَّنفيذِ والعملِ، وسيكونُ رجلًا قُرآنيًا عمليًا نافعًا مُؤثِّرًا[٢٦٧].

قال ابنُ قدامةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي لِتَالِي القرآنِ أنْ يعلَمَ أنَّه المقصودُ بخطابِ القرآنِ ووعيدِه، وأنَّ القَصَصَ لمْ يُرَدْ بها السَّمَر بل العِبَر»[٢٦٨].

وقال الغزالي عند حديثِه عما سماهُ التَّخصيصُ: «أنْ يقدِّرَ أنَّه المقصودُ بكلِّ خطابٍ في القرآن، فإنْ سَمِعَ أمرًا أو نهيًا قدَّر أنَّه المنهي والمأمُورُ، وإنْ سَمِعَ وعدًا أو وعيدًا فكمثِل ذلك»[٢٦٩].

وقال: «إنْ سَمِعَ قَصَصَ الأنبياءِ عليهم الصَّلاة والسَّلام، وقَصَصَ الأولينَ عَلِمَ أنَّها لم تُرْوَ

للتَّسلِيةِ والسَّمَرِ، وإنَّما للعظَةِ والاعتبارِ، فما مِنْ قصةٍ في القرآنِ إلَّا وسِياقِها لفائدةٍ في حقِّ النَّبيِّ ﷺ وأمَّتِه، لذلك قال اللَّه تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود ١٢٠]»[٢٧٠].

الرِّسالةُ الثَّانيةُ: كيفِيَّةُ التَّفاعلِ مع القرآنِ؟

مِنْ تعظيمِك للقرآنِ العظيم أنْ تتفاعلَ مع الآياتِ الَّتي تَتْلُوهَا، هذا التَّفاعلُ له أوجهٌ مختلفةٌ.

وصِفَةُ ذلك: أنْ تشغلَ قلبكَ بالتَّفكُّرِ في معنى ما تلفِظُ به، فتَعرِفَ معنى كلَّ آيةٍ، وتتأمَّلَ الأوامرَ والنَّواهيَ، وتعتقِدَ قَبولَ ذلك، فإذا كُنتَ مِّما قَصَرت عنه فيما مَضى اعتَذَرتَ واستَغفَرتَ، وإذا مَرَرتَ بآيةِ رحمةٍ استبشَرتَ وسألتَ، أو عذابٍ أشفَقتَ وتعوَّذتَ، أو تَنزيهٍ نَزَّهتَ وعظَّمتَ، أو دعاءٍ تضرَّعتَ وطَلبتَ[٢٧١].

وتفصيلُ التَّفاعلِ والتَّأثُّرِ بالآياتِ يكونُ على حَسْبِ مَوضُوعاتِها وسياقِها:

فتفرحُ إذا قرأتَ آياتِ التَّبشيرِ والرَّجاءِ والأملِ.

وتَحزَنُ وتَبْكِي عند آياتِ الإنذارِ والتَّهديدِ والوعيدِ.

وتُسَرُّ إذا قرأتَ آياتِ النَّعيمِ.

وتَخافُ عند آياتِ العذابِ.

وتَعرِضُ نفسكَ على آياتِ صفاتِ المؤمنينَ لِتستَكمِلَ النَّاقِصَ.

وعلى آياتِ صفاتِ الكافرينَ والمُنافِقينَ لتَتَخلَّى عمَّا عَلِقَ بكَ منها.

وتَفتَحُ حواسَّك على الأوامرِ والتَّكاليفِ الرَّبانيةِ لتعملَ بها.

وعلى المَنهيَّاتِ والمُحرَّماتِ لتبتعدَ عنها.

وإذا قرأتَ آيةَ نعيمٍ سألتَ اللَّهَ أنْ تكونَ مِنْ أهلِها.

وإذا قرأتَ آيةَ عذابٍ تَعوَّذتَ باللَّهِ منها.

وتُجيبُ على استفهامَات القُرآنِ وأسئلتِه.

وتُنَفذُ الأوامرَ والتَّكاليفَ.

وتَتَبرَّأَ من الكفَّارِ وصفاتِهم.

وتُقبِلُ على المؤمنينَ، وتُوثِقُ ولاءَك لهم... وهكذا[٢٧٢].

وقال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُستحبَّ إذا مَرَّ بآيةِ رحمةٍ أنْ يسألَ اللَّهَ تعالى مِنْ فضلِهِ، وإذا مَرَّ بآيةِ عذابٍ أنْ يَستعيذَ من الشَّرِّ، أو من العذابِ، أو يقول: «اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ العافيةَ» أو: «أسألُك المُعافاةَ مِنْ كُلِّ مكروهٍ» ونحو ذلك، وإذا مَرَّ بآيةِ تَنزيهٍ للَّهِ سبحانه وتعالى نَزَّهَ فقال: «سبحانه وتعالى»، أو: «تَباركَ اللَّه»، أو «جَلَّت عظمةُ ربِّنا»[٢٧٣].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه استحبابُ هذه الأمورِ لِكلِّ قارئٍ في الصَّلاةِ وغيرِهَا، ومذهبُنَا استحبابُه للإمامِ والمأمومِ والمنفرِدِ»[٢٧٤].

الرِّسالةُ الثَّالثةُ: طريقةُ الغافلينَ في تَدبُّرِ القرآنِ أعاذَكَ اللَّهُ منها

واقعُ كثيرٍ من المسلمينَ اليومَ هو على العكسِ مِنْ هذه القاعدةِ، إنَّ الواحدَ منهم لا يَشعرُ أنَّه هو المقصودُ أساسًا بالأمرِ أو التَّوجيهِ، وأنَّه المُطالَبُ بها، وأنَّ شَخْصَهُ بِذاتِهِ مَعْنيٌّ به بخاصَّةٍ، ولكنَّه يَشعرُ أنَّ الخطابَ لفلانٍ أو علانٍ، إنَّه يُلقِي المسؤُولِيةَ عنه، ويُلغِي خُصوصيَّتَه لِيُوجِّهَها إلى غيرِهِ، إنَّه يُوزِّعُ الواجباتِ على غَيرِهِ، ولهذا لم يتفاعلْ معها ولمْ يَسْع لكي

يَلتَزِمَ هو بها، إذا قرأَ آياتِ القَصَصِ قَصَرَهَا على السَّابِقين، وإذا قرأَ آياتِ الخطابِ والتَّكليفِ للرَّسُولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ خَصَّهُ هو بِها، وإذا قرأَ حادثةً زَمَنَ الصَّحابةَ فهي لهم فقط.. وإذا سَمِعَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهي تُخاطِبُ الصَّحابةَ أو مُؤمِني مَنْ في العَوالِم الأخرَى، آياتُ الزَّكاةِ والصَّدَقةِ للأغنِياءِ فقط، وآياتُ الحكم والالتِزام والطَّاعةِ للحكَّام فقط، وآياتُ الجهادِ والحربِ للعسكريين فقط، وآياتُ الولاءِ والمحبَّةِ والنُّصرَةِ للسياسيينَ فقط، وآياتُ الدَّعوةِ والبلاغِ للشُّيوخِ والعلماءِ فقط.. وهكذا ..وإذا بهذا المسلِم لم تُوَجَّه له آيةٌ، ولم يُطالبْ بِحكم، ولم يُكلفْ بواجبٍ، فإذا ما وَصَلتْ الآياتُ إلى الآخرينَ فإنَّهم سيفعلون مثل هذا، ويَحرِصُون على أنْ يُوجِّهُوهَا لغيرِهِم، فنَرى القرآنَ مُوجَّهًا لِأكوانٍ أُخرَى، ولِأقوامٍ يُوجَدُون في عالمِ الأحلامِ والخيالاتِ والأوهامِ.

على القارئِ البصِيرِ للقرآنِ أنْ يُوقنَ أنَّه هو المقصودُ بالآيةِ، وأنَّها تَعنِيهِ هُوَ، وتَخُصُّهُ هُوَ، وتُخَاطِبُهُ هُوَ، وتُطَالِبُهُ هُوَ، وتُحَدِّثُهُ هُوَ، فإذا

قَرَأَها فليَفْتَح لها أجهزةَ التَّلقِي والاستجابةِ ليلتزمَ بما فيها مِنْ تَوجيهاتٍ[٢٧٥].

الرِّسالةُ الرَّابعةُ: سَجدةُ التِّلاوةِ سَجدةُ الاقترابِ مِنْ رَبِّ العالمين

سَجدةُ التِّلاوةِ سَجدةُ التَّعظيمِ والعظمةِ، سَجدةُ الامتثالِ والتَّفاعلِ مع آياتِ اللَّهِ، سَجدةُ الخُضُوعِ والاستسلامِ للَّهِ رَبِّ العالمين، سَجدةُ الاقترابِ مِنْ رَبِّ العالمين، وبعيدًا عن أيِّ خلافٍ فقهي في حُكمِ سَجدَةِ التِّلاوةِ[٢٧٦] إلَّا أنَّ الحقيقةَ الماثلةَ أمامَ كلِّ قارئٍ للقرآنِ هي أنَّ لِسَجدةِ التِّلاوةِ شُعورًا خاصًّا يَختلفُ عن كلِّ سُجودٍ! فما الَّذي تَشعُرُهُ عند سُجُودِكَ للتِّلاوةِ؟

رُبَّما تَشعُرُ أنَّ هذه السَّجدَةَ إنَّما هي سَجدةُ التَّعظيمِ بعدما أَسَرَت الآياتُ قلبَك وعقلَك وجوارحَك، فلم تَملك إلَّا السُّجودَ للَّهِ تعالى...

رُبَّما تَشعُرُ أنَّك تَتفاعَلُ مع القرآنِ العظيمِ مِنْ لحظتِكَ لأوَّلِ مَرَّةٍ، فَتَستَجيبَ لأمرِ اللَّهِ فتَسْجُدَ، فتَجِدَ لَذَّةَ الاستجابةِ لأوامرِ اللَّهِ، وهكذا مَنْ استجابَ لجميعِ أوامرِ اللَّه.

رُبَّما تَشعُرُ وكأنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يُخاطِبُكَ بالقرآنِ فلا تَملِكُ إلَّا أنْ تَسجُدَ حُبًّا للَّهِ تَعظِيمًا له ولِكلامِه.

وهكذا سَتبقَى هذه السَّجدَةُ عِنوانُ الاقترابِ مِنْ رَبِّ العالمين، وسَيبقَى الشَّيطانُ يُحاولُ أنْ يُثنِينك عنها، واللَّهُ عزَّ وجلَّ يقولُ لَكَ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾.

الرِّسالةُ الخامسةُ: البكاءُ أثناءَ تِلاوةِ القرآنِ

مِنْ تَعظيمِ قدرِ القرآنِ العظيمِ أنْ تَبكِيَ أثناءَ تِلاوتِكَ للقرآنِ، فإنْ لم يكنْ ثَمَّةَ بُكاءٌ فلْتَتَبَاكَ، فالبُكاءُ مِنْ خَشيَةِ اللَّه تعالى عند تِلاوةِ القرآنِ العظيمِ مِنْ صفاتِ المؤمنين العارفين، وشعارُ عِبادِ اللَّه الصَّالحين، وهو دليلٌ على الحضورِ والخشوعِ والتَّفاعلِ مع آياتِ اللَّه.

والعَجَب عندما تَرى أُنَاسًا يَسكُبُون العبَراتِ تِلْوَ العبراتِ عند سماعِ دعاءِ الإمامِ في القُنُوتِ، ولكنْ لا تكادُ تَخرجُ دمعةٌ مِنْ مَحاجِرِهِم عند سماعِ كلامِ اللَّه وآياتِه.

وطريقةُ تحصيلِ البُكاءِ كما يقول الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بأنْ: «تتأمَّلَ ما تقرأ من التَّهديدِ والوعِيدِ

الشَّدِيدِ، والمواثِيقِ والعهودِ، ثُمَّ تُفكِّرُ في تَقصِيرِكَ فيها، فإنْ لم يَحضُرْكَ عند ذلك حُزنٌ وبكاءٌ فلتَبْكِ على فَقْدِ ذلك، فإنَّهُ من المصائِبِ»[٢٧٧].

وليس المقصودُ من البُكَاءِ ما يَفعلُهُ بعضهم مِنْ صُراخٍ وعَويلٍ ونَحيبٍ، فهذا خُروجٌ عن الطَّريقِ القويمِ، فأين هؤلاء مِنْ هَدْي النَّبيِّ ﷺ في البُكاءِ وبُكاءِ الصَّحبِ الكرام رضي الله عنهم الَّذين وَصَفَهُم اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وما يحصلُ عند السَّماعِ والذِّكرِ المشروعِ مِنْ وَجَلِ القلبِ، ودمعِ العينِ، واقْشِعْرَارِ الجُسُومِ، فهذا أفضلُ الأحوالِ الَّتي نَطَقَ بها الكِتابُ والسُّنَّةُ، أمَّا الاضطرابُ الشَّديدُ والغَشْيُ والمَوتُ والصَّيحَاتُ، فهذا إنْ كانَ صاحِبُهُ مَغلُوبًا عليه لم يُلَمْ عليه، كما قد يكونُ في التَّابعين ومَنْ بَعدَهُم، فإنَّ مَنشَأَهُ قوةَ الواردِ على القلبِ مع ضعفِ القلبِ والقُوَّةِ»[٢٧٨].

قال سُفيان الثَّوْرِي: «ليس في كتابِ اللَّه آيةٌ أشدَّ عليَّ مِنْ قولِه تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾»[٢٧٩]، وإقامَتُها: فَهْمُهَا والعمَلُ بها.

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهلُ القرآنِ هُم العالِمون به، العامِلُون بما فيه، وإنْ لم يَحفظُوه عن ظَهْرِ قلبٍ، وأمَّا مَنْ حَفِظَهُ ولم يَفهمْهُ، ولم يَعملْ بما فيه، فليس مِنْ أهلِهِ، وإنْ أقامَ حُرُوفَهُ إقامةَ السَّهمِ»[٢٨٠].

فيا أهلَ القرآنِ... لستُم على شيءٍ حتَّى تُقِيمُوا القرآنَ..

حتَّى تُقِيمُوا القرآنَ في قُلوبِكُم..

حتَّى تُقِيمُوا القرآنَ في أَخلاقِكُم..

حتَّى تُقِيمُوا القرآنَ في تَصوُّراتِكُم..

حتَّى تُقِيمُوا القرآنَ في مُعتقداتِكُم..

حتَّى تُقِيمُوا القرآنَ في مُجتمعاتِكُم..

حتَّى تُقِيمُوا القرآنَ في حَيَاتِكُم..

حتَّى تُقِيمُوا القرآنَ في شَتَّى أُمورَكُم. . كما كان نُبيِّكُم ﷺ.

❊ ❊ ❊

ثبت المصادر والمراجع

أولا: كتب التفسير وعلوم القرآن وما يتبعه:

١- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م. عدد الأجزاء: ٤ .

٢- أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد اللّه أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ). راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م. عدد الأجزاء: ٤ .

٣- أخلاق أهل القرآن: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد اللّه الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ). حققه وخرج أحاديثه: الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م. عدد الأجزاء: ١ .

٤- التبيان في آداب حملة القرآن: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ). حققه وعلق عليه: محمد الحجار. دار ابن حزم. الطبعة: الثالثة مزيدة ومنقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

٥- التبيان في أقسام القرآن: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن

سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). تحقيق: محمد حامد الفقي. دار المعرفة، بيروت، لبنان. عدد الأجزاء: ١ .

٦- التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ). تحقيق: الدكتور عبد اللّه الخالدي. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ .

٧- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). تحقيق: سامي ابن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد اللّه السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م. عدد الأجزاء: ١ .

٩- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م. عدد الأجزاء: ٢٤ .

١٠- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية - القاهرة.

الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً (في ١٠ مجلدات).

١١- جمال القراء وكمال الإقراء: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ). تحقيق: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة. دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت. الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م. عدد الأجزاء: ١ .

١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ). تحقيق: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ. عدد الأجزاء: ١٦ .

١٣- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). دار ابن كثير. دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ .

١٤- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة: أبو عبد الله محمد بن أيوب بن. يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي (المتوفى: ٢٩٤هـ). تحقيق: غزوة بدير. دار الفكر، دمشق - سورية. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م. عدد الأجزاء: ١ .

١٥- فضائل القرآن: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١هـ). تحقيق وتخريج: يوسف عثمان فضل الله جبريل. مكتبة الرشد، الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م. عدد الأجزاء: ١ .

١٦- فضائل القرآن: أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري، النسفي (المتوفى: ٤٣٢هـ). تحقيق: أحمد بن فارس السلوم. دار ابن حزم. الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م. عدد الأجزاء: ٢ .

١٧- فضائل القرآن: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). مكتبة ابن تيمية. الطبعة: الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ. عدد الأجزاء: ١ .

١٨- فهم القرآن ومعانيه: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد اللَّه (المتوفى: ٢٤٣هـ). تحقيق: حسين القوتلي. دار الكندي ، دار الفكر - بيروت. الطبعة: الثانية، ١٣٩٨. عدد الأجزاء: ١ .

١٩- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ). دار الشروق - بيروت- القاهرة. الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

٢٠- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد اللَّه محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ). دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٢١- مفاتيح للتعامل مع القرآن: د صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار القلم - دمشق. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٢- النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ).

تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ). المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]. عدد الأجزاء: ٢ .

٢٣- نهاية القول المفيد في علوم التجويد: محمد مكى نصر الجريسى. المطبعة الأميرية بالعامرة. عدد الأجزاء: ١ .

الحديث وعلومه:

٢٤- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ). تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب. مؤسسة قرطبة. الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. عدد الأجزاء: ٤ .

٢٥- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ). تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب. عام النشر: ١٣٨٧ هـ .

٢٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللّه ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبد اللّه البخاري الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٢٧- حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه): محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ). دار الجيل - بيروت، بدون طبعة .

٢٨- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد

ابن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ. عدد الأجزاء: ٧ .

٢٩- الرقة والبكاء: أبو بكر عبد اللَّه بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ). تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. دار النشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان. الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م. عدد الأجزاء: ١ .

٣٠- الروض الداني (المعجم الصغير): سليمان بن أحمد ابن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ). تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير. المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان. الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣١- الزهد والرقائق لابن المبارك يليه: ما رواه نعيم بن حماد في نسخته زائدا على ما رواه المروزي عن ابن المبارك في كتاب الزهد: أبو عبد الرحمن عبد اللَّه بن المبارك بن واضح الحنظلي. التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ). تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. دار الكتب العلمية - بيروت. عدد الأجزاء: ١ .

٣٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف).

٣٣- السنة: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ). تحقيق: د. عطية الزهراني. دار الراية - الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٣٤- سنن ابن ماجه: أبو عبد اللَّه محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ). تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف.

٣٥- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ). تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف.

٣٦- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى ابن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف.

٣٧- شرح السنة: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش. المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت. الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. عدد الأجزاء: ١٥ .

٣٨- شرح سنن أبي داود: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ). تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري. مكتبة الرشد - الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م .

٣٩- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي ابن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد. مكتبة الرشد. الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

٤٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد ابن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣ .

٤١- صحيح الترغيب والترهيب: عبد العظيم ابن عبد القوي بن عبد اللّه، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ). تحقق محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). مكتبة المعارف - الرياض. الطبعة: الخامسة. عدد الأجزاء: ٣ .

٤٢- صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح ابن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). المكتب الإسلامي. عدد الأجزاء: ٢ .

٤٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح عللّه ومشكلاته: محمد أشرف بن أمير بن علي ابن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ). دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ. عدد الأجزاء: ١٤ .

٤٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ .

٤٥- الكتاب: جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ). تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون. مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان. الطبعة: الأولى .

٤٦- كتاب المصاحف: أبو بكر بن أبي داود، عبد اللّه بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ). تحقيق: محمد بن عبده. الفاروق الحديثة . الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. عدد الأجزاء: ١ .

٤٧- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ). تحقيق: كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد - الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ .

٤٨- المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي): أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ). تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف .

٤٩- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن عبيد اللّه بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان اللّه ابن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ). إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند. الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م .

٥٠- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ). دار الفكر، بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

٥١- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد اللّه الحاكم محمد بن عبد اللّه بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٥٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد اللّه أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد اللّه بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٥٣- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد اللّه العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ). تحقيق: محفوظ الرحمن زين اللّه. مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة. الطبعة: الأولى .

٥٤- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي): أبو محمد عبد اللّه بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ). تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠م. عدد الأجزاء: ٤ .

٥٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللّه ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي - بيروت. عدد الأجزاء: ٥ .

٥٦- المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ). تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي - بيروت. الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ . عدد الأجزاء: ١١ .

٥٧- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب ابن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ). تحقيق: طارق بن عوض اللّه ابن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. دار الحرمين - القاهرة. عدد الأجزاء: ١٠ .

٥٨- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ). تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة. الطبعة: الثانية. عدد الأجزاء: ٢٥ .

٥٩- معرفة السنن والآثار: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي. الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة). الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

٦٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ). دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ. عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

ثالثا: كتب العقيدة وما يتبعها

٦١- الحوادث والبدع: محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي المالكي (المتوفى: ٥٢٠هـ). تحقيق: علي بن حسن الحلبي. دار ابن الجوزي. الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م. عدد الأجزاء: ١ .

٦٢- درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

٦٣- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبو القاسم هبة اللّه بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ). تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. دار طيبة - السعودية. الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

٦٤- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). تحقيق: دار المعرفة، بيروت، لبنان. الطبعة: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

٦٥- مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي: شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.. عدد الأجزاء: ١ .

٦٦- المدخل: أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: ٧٣٧هـ). دار التراث .

رابعا: كتب الفقه وأصوله

٦٧- تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي على الخطيب): سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (المتوفى: ١٢٢١هـ). دار الفكر. بدون طبعة. تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. عدد الأجزاء: ٤ .

٦٨- جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد اللَّه بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). تحقيق: محمد عزير شمس. إشراف: بكر بن عبد اللَّه أبو زيد. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٦٩- مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية. عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٧٠- المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي): أبو زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ). دار الفكر.

٧١- مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر: أبو عبد اللَّه محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ). اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي. حديث أكادمي، فيصل اباد - باكستان. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م. عدد الأجزاء: ١ .

٧٢- المغني لابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد اللَّه بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ). مكتبة القاهرة. الطبعة: بدون طبعة. عدد الأجزاء: ١٠ . تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

خامسا: المعاجم والموسوعات

٧٣- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ). دار صادر - بيروت. الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ. عدد الأجزاء: ١٥ .

٧٤- معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ). دار صادر، بيروت. الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م. عدد الأجزاء: ٧ .

٧٥- موسوعة: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - ﷺ: تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي. دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة. الطبعة: الرابعة .

سادسا: كتب التاريخ والتراجم والسيرة والرجال

٧٦- بغية الطلب في تاريخ حلب: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ). تحقيق: د. سهيل زكار. دار الفكر. عدد الأجزاء: ١٢ .

٧٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ). السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٧٨- زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار

الإسلامية، الكويت. الطبعة: السابعة والعشرون. ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. عدد الأجزاء: ٥ .

٧٩- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ). تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

سابعاً: كتب متنوعة

٨٠- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ). دار المعرفة- بيروت. عدد الأجزاء: ٤ .

٨١- الأخلاق والسير في مداواة النفوس: أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ). دار الآفاق الجديدة - بيروت. الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ١ .

٨٢- الآداب الشرعية والمنح المرعية: محمد ابن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد اللّه، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ). عالم الكتب. عدد الأجزاء: ٣ .

٨٣- إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان: محمد ابن أبي بكر ابن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). تحقيق: محمد حامد الفقي. مكتبة المعارف. عدد الأجزاء: ٢ .

٨٤- الحاوي للفتاوي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان. عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م. عدد الأجزاء: ٢ .

٨٥- الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م. عدد الأجزاء: ١ .

٨٦- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ). دار ابن حزم للطبتعة والنشر. الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. عدد الأجزاء: ١ .

٨٧- مختصر منهاج القاصدين: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٩هـ). قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان. مكتبة دار البيان، دمشق. عام النشر: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م. عدد الأجزاء: ١ .

٨٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). تحقيق: محمد المعتصم باللّه البغدادي. دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م. عدد الأجزاء: ٢ .

٨٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). دار الكتب العلمية - بيروت. عدد الأجزاء: ٢ ط ١ .

٩٠- مقاصد الرعاية لحقوق اللّه عز وجل أو مختصر رعاية المحاسبي: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ). تحقيق: إياد خالد الطباع. دار الفكر - دمشق. الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. عدد الأجزاء: ١ .

الهوامش

١ - مختصر من كتاب: (معالم في الطريق) لسيد قطب، وانظر مقدمة الشيخ الألباني على مختصر العلو (ص ٥٩).

٢- رواه النسائي (٣١٤٠)، من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ، وصححه الألباني.

٣- رواه أبو داود (٨٣٠)، وصححه الألباني.

٤- قال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: كذا وقع السماع، وإنما هو السهم.

٥- رواه ابن حبان (٧٦٠)، من حديث سهل بن سعد ﷺ، وصححه شعيب الأرنؤوط.

٦- مرعاة المفاتيح (٧/ ٢٩٠).

٧- رواه الطبراني في الأوسط (٦٢٤٢)، قال الألباني: حسن لغيره، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٣٥).

٨- رواه الترمذي (٢٣٨٢)، وصححه الالباني.

٩- أخلاق حملة القرآن للآجري (ص ٩٠).

١٠- تفسير القرآن للقرطبي (١/ ٢٠).

١١- سنن الدارمي (٣٣٧٢).

١٢- التبيان في آداب حملة القرآن (ص ١٠٧).

١٣- أخلاق حملة القرآن (ص ١٢٩).

١٤- أخلاق حملة القرآن للآجري (ص ١٠٣).

١٥- رواه الترمذي (٢٩١٠)، من حديث عبد اللّه بن مسعود ﷺ، وصححه الألباني.

١٦- رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩٤٣)، قال الألباني: حسن، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٨٥٣).

١٧- روى ابن أبي شيبة (٤/ ٦٨) بسند صحيح إلى ابن جريج عن

عطاء أنه كره أن يسأل بوجه الله أو بالقرآن شيء من أمر الدنيا. السلسلة الصحيحة (١/ ٥١٠).

١٨- التبيان في آداب حملة القرآن (ص ١٨).

١٩- حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٧٠).

٢٠- المدخل لابن الحاج (١/ ٦).

٢١- أخلاق حملة القرآن (ص ١٠٤).

٢٢- وفي حديث أبي هريرة (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذي قال الحق، وهو العلي الكبير) متفق عليه.

٢٣- رواه أبو داود (٤٧٣٨)، وصححه الألباني.

٢٤- تفسير ابن كثير (٦/ ٥١٤).

٢٥- حلية الأولياء (٧/ ٣٠٠).

٢٦- إحياء علوم الدين (١/ ٢٨١).

٢٧- حلية الأولياء (٢/ ٣٧٨).

٢٨- إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٥).

٢٩- أولاس: حصن على ساحل بحر الشام من نواحي طرسوس فيه حصن يسمى حصن الزهاد. معجم البلدان (١/ ٢٨٢).

٣٠- بغية الطلب في تاريخ حلب (٢/ ٦٠٩).

٣١- رواه الترمذي (٢٩٢٦)، قال الشيخ أبو إسحاق الحويني بعد أن ساق مجموعة من الشواهد للحديث في تحقيقه لكتاب فضائل القرآن لابن كثير رحمه الله (ص٢٧٤): «الحديث حسن بجملة هذه الشواهد، كما حققته في التسلية».

٣٢- فهم القرآن للحارث المحاسبي (ص ٣٠٢).

٣٣- تفسير الرازي (٢٩/ ٤٣٣).

٣٤- إحياء علوم الدين (١/ ٢٨١).

٣٥- رواه ابن ماجه (٦١)، وصححه الألباني.

٣٦- السنة لأبي بكر الخلال (١٦٠٦).

٣٧- معالم في الطريق لسيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣٨- رواه الحاكم في المستدرك (١٠١)، قال الذهبي: على شرطهما، ولا علة له.

٣٩- رواه مسلم (١٧٩).

٤٠- مختصر منهاج القاصدين (ص ٥٣).

٤١- تفسير القرطبي (١/ ٤).

٤٢- رواه الترمذي (٢٩١٠)، وصححه الألباني.

٤٣- رواه أحمد في مسنده (١٨/ ٢٩٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٣).

٤٤- رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٠٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٩).

٤٥- رواه أحمد في مسنده (١١/ ٦٨)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

٤٦- رواه أبو داود (١٣٩٨)، وصححه الألباني.

٤٧- سنن الدارمي (٣٥٠١).

٤٨- سنن الدارمي (٣٣٨٤).

٤٩- سنن الدارمي (٣٣٩٤).

٥٠- ولد سنة خمس وتسعين، ومات في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة، أي أنه عاش ستًا وتسعين سنة. رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة.

٥١- حلية الأولياء (٨/ ٣٠٤).

٥٢- سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٥).

٥٣- حلية الأولياء (٢/ ١٠٢).

٥٤- سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٩).

٥٥- سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢٦).

٥٦- سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٥).

٥٧- فضائل القرآن للمستغفري (ص ٤٠٤).

٥٨- المغني لابن قدامة (٢/ ١٢٧).

٥٩- سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٦٢).

٦٠- مستفادة في الجملة من موسوعة نضرة النعيم (٤/ ١١٨٣)، لكن بتصرف.

٦١- رواه أبو داوود (١٣٩٥)، وصححه الألباني.

٦٢- رواه أبو داوود (١٣٩٤)، وصححه الألباني.

٦٣- الكراهة إن داوم الإنسان على ذلك، أما إن فعل ذلك لحاجة أو لأمر معين فلا يكره، مثل أن يراجعه كاملا في يوم، أو يختم لفضيلة زمان معين، أو مكان معين، لا يتأتى له ذلك في العادة، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر أو في الأماكن المفضلة كمكة شرفها اللّه لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناما للزمان والمكان وهذا قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة». لطائف المعارف (١٧١)، قلت: يدل على ذلك ما روته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذ قالت: أسر إلي النبي ﷺ (إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي) . فقد كان النبي ﷺ يتدارس مع جبريل القرآن في كل عام مرة، فلما كان رمضان الأخير الذي توفي

فيه النبي ﷺ دارسه جبريل القرآن مرتين، وهذا على خلاف العادة، لكن كان ذلك لسبب مخصوص وهو رحيل النبي ﷺ. والله أعلم.

٦٤- سير أعلام النبلاء (٣/ ٨٥).

٦٥- فتح الباري (٩/ ٨٩).

٦٦- شرح النووي على صحيح مسلم (٨/ ٤٣).

٦٧- مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٧) باختصار.

٦٨- درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٧٢).

٦٩- شفاء العليل (ص ٢٧٢).

٧٠- رواه البخاري (٥٠١٥).

٧١- رواه مسلم (٨١٢).

٧٢- رواه ابن ماجه (١٣٤٥)، وضعفه الألباني.

٧٣- قاله ابن تيمية، وقد نقله عنه ابن القيم، انظر التبيان في أقسام القرآن (ص ٤٠).

٧٤- رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٢١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٨٠).

٧٥- متفق عليه. رواه البخاري (٣٣٠)، ومسلم (٣٦٩).

٧٦- رواه أبو داود (١٧)، وصححه الألباني.

٧٧- ولكن مع هذا لو قرأ الإنسان وهو على غير طهارة - من غير مس للمصحف - لم يكن آثما في ذلك ولا مقصرا، لما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها وهي خالته، قال: فاضطجعت على عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجلس، فمسح النوم

عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر آيات خواتيم سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة، فتوضأ منها، فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي»، ولكن كما قلنا أن الطهارة أكمل وأفضل، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قرأ محدثا جاز ذلك بإجماع المسلمين، والأحاديث فيه كثيرة معروفة، قال إمام الحرمين: ولا يقال ارتكب مكروها، بل هو تارك للأفضل».

٧٨- رواه البزار في مسنده (٢/ ٢١٤)، وجوَّد إسناده الألباني.

٧٩- معرفة السنن والآثار للبيهقي (١/ ٣٢٥).

٨٠- مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٩٧).

٨١- مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٩٧)، (١/ ٩٨).

٨٢- مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١/ ٣٣٦).

٨٣- المصاحف لابن أبي داوود (ص ٤٢٣).

٨٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٨١).

٨٥- التمهيد لابن عبد البر (١٧/ ٣٩٧).

٨٦- أخلاق أهل القرآن (ص ٧١).

٨٧- تفسير القرطبي (١/ ٢٧).

٨٨- المجموع شرح المهذب (٢/ ١٦٣).

٨٩- رواه مسلم (٢٤٤).

٩٠- مفاتيح التعامل مع القرآن (ص ٥٢).

٩١- رواه الدارمي في سننه (٢/ ٥٢٢)، وصححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٣٥٦٢).

٩٢- بضم القاف وتشديد الفاء اسم واد بالمدينة.

٩٣- رواه أبو داوود (٤٤٤٩)، وحسنه الألباني.

٩٤- رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٢٥)، وحسنه الألباني (٣٠٨٥).

٩٥- رواه مسلم (٤٧٩).

٩٦- عون المعبود (٣/ ٩١).

٩٧- مرقاة المفاتيح (٣/ ١٨٧).

٩٨- تفسير القرطبي (١/ ٢٧).

٩٩- تفسير القرطبي (١/ ٢٧).

١٠٠- التبيان للإمام النووي (ص٤٤).

١٠١- إحياء علوم الدين (١/ ١٥٢).

١٠٢- مفاتيح تدبر القرآن (ص ٥١).

١٠٣- ضعيف بهذا اللفظ، انظر«التلخيص الحبير» للحافظ ابن حجر (٢/ ٤٩٨).

١٠٤- التبيان شرح آداب حملة القرآن (ص ٧٩).

١٠٥- إحياء علوم الدين (١/ ٣٦٥).

١٠٦- رواه مسلم (٦٧١).

١٠٧- رواه مسلم (٢٨٥).

١٠٨- رواه مسلم (٢٦٩٩).

١٠٩- رواه مسلم (٨٠٣).

١١٠- رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ٥٩١)، قال شعيب: حديث صحيح.

١١١- رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ١٤٤)، قال شعيب: حديث صحيح.

١١٢- التبيان (ص٤٠).

١١٣- رواه مسلم (٧٧٧).

١١٤- رواه مسلم (٧٨٠).

١١٥- رواه الفريابي في فضائل القرآن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١١٢).

١١٦- متفق عليه. رواه البخاري (٢٩٧)، ومسلم (٣٠١).

١١٧- رواه البخاري (١١٩٨).

١١٨- فضائل القرآن للفريابي (ص ١٥٤).

١١٩- رواه البخاري (٥٠٣٤).

١٢٠- التبيان في آداب حملة القرآن ١٠٤).

١٢١- تفسير القرطبي (١/ ٢٩).

١٢٢- تفسير الطبري (١٧/ ٢٩٣).

١٢٣- رواه أبو داود (٧٧٥)، وصححه الألباني.

١٢٤- رواه أحمد (٥/ ٢٥٣)، قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

١٢٥- متفق عليه. رواه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠).

١٢٦- مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٢١٤).

١٢٧- فضائل القرآن للمستغفري (ص ٤٣٢).

١٢٨- روح المعاني للألوسي (١٥/ ٥٢٦).

١٢٩- فضائل القرآن للمستغفري (ص ٤٣١).

١٣٠- فضائل القرآن للمستغفري (ص ٤٣٢).

١٣١- فضائل القرآن للمستغفري (ص ٤٢٩).

١٣٢- فضائل القرآن للمستغفري (ص ٤٢٩).

١٣٣- فضائل القرآن للمستغفري (ص ٤٢٩).

١٣٤- فضائل القرآن للمستغفري (ص ٤٢٩).

١٣٥- انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٢).

١٣٦- في ظلال القرآن (٤/ ٢١٩٤).

١٣٧- إغاثة اللَّهفان (١/ ٩٣) باختصار يسير.

١٣٨- إغاثة اللَّهفان (١/ ٩٣)باختصار يسير.

١٣٩- إغاثة اللَّهفان (١/ ٩٣) باختصار يسير.

١٤٠- تفسير ابن كثير (١/ ١١٤).

١٤١- إغاثة اللّهفان (١/ ٩٢).

١٤٢- الفتاوى(٢٢/ ٣٥١).

١٤٣- الحاوي للفتاوي للسيوطي (١/ ٣٥٢).

١٤٤- التحرير والتنوير (١٤/ ٢٧٨).

١٤٥- ذكر ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ سبع صيغ تخص القراءة، وهي كتالي: ١- أعوذ باللّه السّميع العليم من الشيطان الرجيم. ٢- أعوذ باللّه العظيم من الشيطان الرجيم. ٣- أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم إن اللّه هو السميع العليم. ٤- أعوذ باللّه العظيم السميع العليم من الشيطان الرجيم. ٥- أعوذ باللّه العظيم من الشيطان الرجيم إن اللّه هو السميع العليم. ٦- أعوذ باللّه السميع العليم من الشيطان الرجيم إن اللّه هو السميع العليم . ٧- أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم وأستفتح اللّه وهو خير الفاتحين .

١٤٦- قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. انظر النشر في القراءات العشر (١/ ٢٤٩) .

١٤٧- سبق تخريجه.

١٤٨- سبق تخريجه.

١٤٩- النشر (١/ ٢٤٣).

١٥٠- شرح زاد المستقنع للشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مفرغ من درس رقم (٤٠).

١٥١- حاشية البجيرمي (٢/ ٦٢).

١٥٢- رواه مسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

١٥٣- التسهيل لعلوم التنزيل المعروف باسم «تفسير ابن جزي الكلبي» (١/ ٤٧).

١٥٤- مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨٣).

١٥٥- رواه البيهقي في دلائل النبوة (٥ / ٣٠٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٩١٨).

١٥٦- حكاية عن يحيى عليه السلام إذ أوصى قومه بخمس وصايا.

١٥٧- رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وصححه الألباني.

١٥٨- لسان العرب مادة (رتل).

١٥٩- رواه مسلم (٧٣٣).

١٦٠- المرجع السابق.

١٦١- رواه ابن حبان في صحيحه (٧٤٧)، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

١٦٢- رواه أبو داوود (١٤٦٤)، قال الألباني: حسن صحيح.

١٦٣- أي لا يجاوز القرآنُ تراقيهم ليصل إلى قلوبهم، فليس حظهم منه إلا مروره على ألسنتهم.

١٦٤- رواه مسلم (٨٢٢).

١٦٥- رواه ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٨).

١٦٦- رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٠).

١٦٧- مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٥٦).

١٦٨- تفسير القرطبي (١/ ٢٧).

١٦٩- تفسير القرطبي (١/ ١٧)..

١٧٠- التفسير الكبير (١/ ٦٩).

١٧١- الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٣١١).

١٧٢- الآداب الشرعية (٢/ ٣١١).

١٧٣- شرح المهذب (٢/ ١٦٥).

١٧٤- نهاية القول المفيد (ص ١٦).

١٧٥- رواه ابن ماجه (١٣٨)، وصححه الألباني.

١٧٦- النشر في القراءات العشر (١/ ٢١٢).

١٧٧- النشر في القراءات العشر (١/ ٢١٣).

١٧٨- مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٠).

١٧٩- المنظومة بعنوان: «عمدة المفيد وعُدّةُ الْمُجِيد في معرفة التّجويد»، انظر جمال القراء (ص ٦٦٢).

١٨٠- فتح الباري (٩/ ٨٩).

١٨١- المرجع السابق.

١٨٢- فتح الباري (٢/ ٢٦٠).

١٨٣- رواه ابن ماجه (١٣٣٩) من حديث جابر ﷺ، وصححه الألباني.

١٨٤- شرح العيني على سنن أبي داود (٥/ ٣٨٥).

١٨٥- النشر في القراءات العشر (١/ ٢١٢).

١٨٦- رواه ابن ماجه (١٣٨)، وصححه الألباني.

١٨٧- رواه مسلم (٧٩٢).

١٨٨- قاله ابن كثير، انظر فضائل القرآن لابن كثير (١/ ١٧٩).

١٨٩- رواه أبو داود (١٤٧١)، وقال الألباني: حسن صحيح.

١٩٠- التبيان في آداب حملة القرآن (ص ١١٢).

١٩١- رواه ابن ماجه (١٣٤٢)، وصححه الألباني.

١٩٢- حاشية السندي على ابن ماجه (١/ ٤٠٤).

١٩٣- رواه الدارمي (٣٥٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٤٥).

١٩٤- مرقاة المفاتيح (٤/ ١٥٠٥).

١٩٥- رواه الطبراني (١٠٠٢٣)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨١٥).

١٩٦- رواه البخاري (٧٦٩).

١٩٧- رواه البخاري (٤٨٥٤).

١٩٨- رواه ابن ماجه (١٣٣٩)، وصححه الألباني.

١٩٩- النشر في القراءات العشر (١/ ٢١٢).

٢٠٠- رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٠٢٣)، وصححه الألباني. انظر السلسلة الصحيحة (١٨١٥).

٢٠١- سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٨).

٢٠٢- فتح الباري (٩/ ٩٢).

٢٠٣- حلية الأولياء (١/ ٢٥٨).

٢٠٤- تفسير القرطبي (١٩/ ٣٨).

٢٠٥- سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨١).

٢٠٦- الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص٧٨).

٢٠٧- مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١١٩).

٢٠٨- زاد المعاد (١/ ٤٨٩).

٢٠٩- فتح الباري (٩/ ٧٢).

٢١٠- أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٥).

٢١١- التبيان بتصرف يسير، انظر (ص١٠٠).

٢١٢- أخلاق حملة القرآن (ص ١٥٨).

٢١٣- أخلاق حملة القرآن (ص١٥٨).

٢١٤- الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم (ص ١٨).

٢١٥- مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل، للعز بن عبد السلام (ص١٣٦).

٢١٦- أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٥).

٢١٧- جامع الرسائل لابن تيمية (٣/ ٣٠٥).

٢١٨- تفسير القرطبي (١/ ١٦).

٢١٩- تفسير ابن كثير (١/ ٦٤).

٢٢٠- رواه ابن حبان (٧١٩٧)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده

صحيح على شرط مسلم.

٢٢١- قاله الشوكاني في فتح القدير (٤/ ٤٩٤).

٢٢٢- رواه النسائي (١٠١٠)، وحسنه الألباني.

٢٢٣- رواه الترمذي (٣٢٩٧)، وصححه الألباني.

٢٢٤- مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٥٦).

٢٢٥- فضائل القرآن لابن الضريس (١/ ٤٩).

٢٢٦- إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٥).

٢٢٧- مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٥٦).

٢٢٨- مختصر قيام الليل ورمضان وكتاب الوتر (ص ١٤٨).

٢٢٩- إحياء علوم الدين (١/ ٢٥٧).

٢٣٠- إحياء علوم الدين (١/ ٢٨١).

٢٣١- إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٢).

٢٣٢- مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ١٨٧).

٢٣٣- تفسير السعدي (ص٧٨٨).

٢٣٤- قال عليه الصلاة والسلام عن الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، والحديث متفق عليه.

٢٣٥- الفوائد لابن القيم (ص ٣).

٢٣٦- سير أعلام النبلاء (٨/ ١٨٠).

٢٣٧- إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٧).

٢٣٨- مفاتيح تدبر القرآن (ص ٥٣ - ٥٤ بتصرف.

٢٣٩- أي: يختصمون ويقول كل واحد منهم: الحق في يدي.

٢٤٠- مصنف عبد الرزاق (٢٠٣٦٨).

٢٤١- رواه البخاري (٥٠٥٨).

٢٤٢- مدارج السالكين (١/ ٤٨٥) بتصرف يسير واختصار.

٢٤٣- مجموع الفتاوى (٧/ ٢٣٦).

٢٤٤- انظر مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٧) بتصرف واختصار.

٢٤٥- التبيان في آداب حملة القرآن (ص٨٦).

٢٤٦- حلية الأولياء (٣/ ٢٩).

٢٤٧- الحوادث والبدع للطرطوشي (ص١٠١).

٢٤٨- رواه مسلم (٧٧٢).

٢٤٩- رواه أحمد في مسنده (٦/ ٩٢)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

٢٥٠- رواه أبو داود (٨٧٣)، وصححه الألباني.

٢٥١- رواه مسلم (٨١).

٢٥٢- متفق عليه. رواه البخاري (٥٠٥٥)، ومسلم (٨٠٠).

٢٥٣- رواه النسائي (١٢١٤)، وصححه الألباني.

٢٥٤- رواه أبو داود (٩٠٤)، وصححه الألباني.

٢٥٥- تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٤).

٢٥٦- مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٥).

٢٥٧- سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٥).

٢٥٨- الزهد والرقائق لابن المبارك (ص٤٥٥).

٢٥٩- مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٣/ ٣٤٦).

٢٦٠- رواه البخاري (١/ ١٤٤) معلقا بصيغة الجزم.

٢٦١- رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٣٣).

٢٦٢- رواه البخاري (٤٧٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

٢٦٣- حلية الأولياء (١/ ٥١).

٢٦٤- سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٢).

٢٦٥- جامع الأصول لابن الأثير (٢/ ٤٦٧).

٢٦٦- إحياء علوم الدين (١/ ٢٧٧).

٢٦٧- مفاتيح التعامل مع القرآن (ص ١٣٣ بتصرف.

٢٦٨- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامه (ص ٥٤).

٢٦٩- إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٥).

٢٧٠- إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٥).

٢٧١- الإتقان في علوم القرآن ص(١/ ٣٦٩) بتصرف.

٢٧٢- مفاتيح للتعامل مع القرآن (ص ٥٥)، بتصرف.

٢٧٣- التبيان في آداب حملة القرآن (ص٩١).

٢٧٤- شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٦٢).

٢٧٥- مفاتيح تدبر القرآن (ص ١٣٤) بتصرف واختصار.

٢٧٦- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «تنازع الناس في وجوب سجود التلاوة: قيل: يجب، وقيل: لا يجب، وقيل: يجب إذا قرئت السجدة في الصلاة، والذي يتبين لي أنه واجب»، ثم استدل على الوجوب بأدلة منها: «قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، فهذا نفي للإيمان بالآيات عمن لا يخر ساجداً إذا ذكر بها، وإذا كان سامعاً لها، فقد ذكر بها، وكذلك: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾، وهذا ذم لمن لا يسجد إذا قرئ عليه القرآن، وكذلك: ﴿أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾، أمرا بالغاً عقب ذكر الحديث الذي هو القرآن يقتضي أن سماعه سبب الأمر بالسجود». مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٣٩) باختصار.

٢٧٧- شرح المهذب (٢/ ١٦٥) بتصرف.

٢٧٨- مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٢٢).

٢٧٩- شرح السنة للبغوي (١٤/ ٣٦٧).

٢٨٠- زاد المعاد لابن القيم (١/ ٣٢٢).

الفهرس

- تقريظ د. عبد المحسن زبن المطيري ٥
- المقدمة ٦
- القاعدةُ الأولَى: طلبُ أجرِ التِّلاوةِ مِنَ اللَّهِ وحدَهُ .. ١٣
- القاعدةُ الثَّانيةُ: استِشعَارُ عظمة اللَّهِ وكلامه ٢٥
- القاعدةُ الثَّالثةُ: المُداومةُ على تلاوةِ القرآنِ الكريمِ وختْمِه ٤٣
- القاعدة الرَّابعة: الطَّهارة عند تلاوةِ القرآنِ وحملِه ولمسِه ٦٩
- القاعدةُ الخامسةُ: اختيارُ المكانِ المناسِبِ لِتلاوةِ القرآنِ مع التِزَامِ هيئَةِ الأدبِ والتَّذَلُّلِ ٨١
- القاعدةُ السَّادسةُ: الاستِعاذةُ باللَّهِ عندَ افتِتَاحِ قراءةِ القرآنِ ٩٧
- القاعدةُ السَّابعةُ: تلاوةُ القرآنِ الكريمِ بتَرتيلٍ وتجويدٍ ١١٥
- القاعدةُ الثَّامنة: تَحسينُ الصَّوتِ عند تلاوةِ القرآنِ الكريمِ ١٣٣
- القاعدةُ التَّاسعة: إحضارُ قلبك في التِّلاوة والتَّفكُّرُ فيها وتدبُّرُها، وكأنَّك بين يدي اللَّه سبحانه ١٥٣
- القاعدةُ العاشرةُ: التَّفاعلُ مع الآياتِ والتَّجاوبُ معها فأنتَ المُخاطبُ بِها ١٧٣

- ثبت المصادر والمراجع ١٩٢
- الهوامش ٢١٠
- الفهرس ٢٢٥